

فضيلة الصبر
ورذيلة الجزع

الدكتور عبد القادر الشيخلي
كلية القانون - جامعة اليرموك
إربد - الاردن

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
الطبعة الاولى

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية



فضيلة الصبر ورذيلة الجزع

الدكتور عبد القادر الشيخلي
كلية القانون - جامعة اليرموك
إربد - الاردن

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين حبيبه المصطفى الامين اما بعد،

فهذا الكتاب (فضيلة الصبر ورذيلة الجزع) جزء من مشروع علمي اسميته : «موسوعة الفضائل والرذائل الاخلاقية» يهدف الى احياء التراث العربي - الاسلامي الاخلاقي وتطويره بما يلائم الاحتياجات الاجتماعية والاخلاقية والتربوية لمجتمعاتنا كافة تحقيقا لمبدأ المزاوجة بين الاصالة والمعاصرة. ونحاول اثبات مقولة ان الاخلاق العربية الاسلامية صالحة لحياتنا الراهنة وذلك عن طريق العزوف عن المنهج الوعظي او الارشادي التقليدي، فهذا اسلوب يلائم صغارنا في المدارس الابتدائية او فتياننا ويافعينا في المدارس الاعدادية والثانوية، اما الشباب الناضج والمثقف فيحتاج الى منهج جديد غير تقليدي، واذا كان بعضهم ينادي بأن الاسلام هو الحل فإن تقديم برامج اقتصادية وسياسية واجتماعية واخلاقية وعلمية سليمة وملائمة لروح العصر مهمة آنية وملحة.

ان خطة إعداد موسوعة الفضائل والرذائل الاخلاقية تعتمد على ركنين اساسيين هما الركن الشرعي حيث الاستناد الى الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة، اما الركن الثاني فهو التراث الادبي ويتضمن الشعر والنثر، ويمكن التطرق في نطاق النثر الى الخطب البليغة واقوال الحكماء والوصايا والنصائح والامثال والحكم العامة، والحكايات والوقائع المؤثرة، ومن ثم احلل كل فضيلة اخلاقية على حدة من جوانبها الشرعية (الدينية) والاجتماعية والسلوكية وما يقابلها من رذيلة نقيضة، لعل التعمق في الاخيرة يزيد من درجة تحليل الفضيلة مناط الدراسة ومن ثم تدور الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والامثال والحكمُ والحكايات حول موضوع محدد وبعبارة اخرى يجمع كل ذلك وحدة الموضوع على الرغم من اختلاف المصادر او المنابع.

وجدير بالذكر ان معظم الكتب التراثية تناولت الفضائل الاخلاقية في صفحات معدودات وبعضهم ينقل من بعضهم الاخر وتتفاوت الاساليب من حيث الجزالة والبلاغة بين كاتب او اديب وآخر فآليت على نفسي الاختيار من هذا التراث: النموذج الافضل او الكتابة المثلى اضافة الى توثيق المعلومات تاريخياً بحيث نعرف على وجه الدقة من كتب هذا الكلام او ذلك لاول مرة اضافة الى توثيق بعض الحكايات التاريخية والاخلاقية لمعرفة من هو بطل كل حكاية على وجه الدقة فالصراع السياسي والمذهبي في المجتمعات الاسلامية ادى فيما ادى الى انتحال بعض الحكايات الاخلاقية التي تثير الاعجاب والدهشة ونسبتها لغير ابطالها لغرض استخدامها في هذا الصراع او ذلك.

ومؤلف هذه الموسوعة يتحفظ على اطلاقية الاحكام الاخلاقية ويوقن بطابعها النسبي وسنبين ذلك من خلال الادلة والاسانيد التي يقدمها التراث الاخلاقي ذاته والحقيقة ان اطلاقية الاحكام الاخلاقية هي وراء اخفاق دعاوى احياء التراث العربي - الاسلامي فنحن نحاول في هذا المشروع العلمي توظيف مناهج البحث العلمي المعاصر في احياء التراث الاخلاقي، فهذه المناهج متقدمة على نحو مدهش، والمطلوب حسن استخدامها ومن ثم توظيفها في هذه المهمة الجليلة فنحن لن نستطيع تجاهل العلم او الاعراض عنه وانما وجوده العياني والحسي في سائر مرافق الحياة المعاصرة يتطلب احترام مفاهيمه ومعاييره كي تتناغم حياتنا الاجتماعية والاخلاقية مع هذا التقدم العلمي والتقني الهائل، صفوة القول في هذا الشأن، ان جلالة الفضائل الاخلاقية العربية الاسلامية قمينة بتقديمها بثوب العصر وروحه فنكون اوفياء لها وموقرين لمتطلبات عصرنا، ومن الله السداد والرشاد.

الدكتور عبد القادر عبد الحافظ الشيخلي

ص . ب ٥٤٠٣٥١
ابو نصير - عمان

خطة التأليف

حينما بدأت بتأليف هذا الكتاب، وفق اسس منهجية علمية تبادر الى ذهني، ان من الواجب ان ابدأ ببيان رذيلة الجزع، تأسياً بأن ثمة نكبة او بلاء او مصيبة او حادثاً جللاً وقع اولا فتلاه الشعور بالجزع ان كان المتضرر فرداً عادياً أو مسلماً لم يتغلغل الايمان الى سويداء قلبه اما اذا كان المتضرر مسلماً مؤمناً بقضاء الله وقدره فأن الصبر هو المسلك الواجب الاتباع، بيد انني وجدت ان تناول الصبر كفضيلة بادىء ذي بدء هو الاصوب اذ ان بيان مزاياه ومحاسنه وثماره يخلق لدى المرء ادراكاً بجدواه وبتهافت رذيلة الجزع، فالخطة التربوية والاخلاقية تتطلب بيان الفضيلة بكل عناصرها وجوانبها وآثارها ونتائجها ومن ثم يصبح الكلام عن الرذيلة التي تعارضها تحصيل حاصل وذكراً لمفهوم، اذ ان القارىء يكون قد تشبع بمثُل وقيم هذه الفضيلة وحينئذ يصله الكلام عن الرذيلة كأمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ومن ثم سيكون لديه استعداد عقلي وآخر نفسي للايمان بطرح هذه الرذيلة وتهافت دعاويها وخطاياها، ومتى احس الانسان بعظمة الفضيلة ادرك ان الرذيلة قميئة وتعقب ندماً ليس من السهل نسيانه لأن من اشق الامور احياناً اصلاح ما سببته الرذيلة على سمعة مقترفها ومركزه الشخصي والاجتماعي سواء بالمنظور الاجتماعي او المنظور الديني.

في ضوء هذا الادراك المعرفي وجدت ان الكلام اولا عن فضيلة الصبر اجدى واصح، ومن ثم يلي ذلك الكلام عن رذيلة الجزع انسجاماً مع الخطة العامة لموسوعة الفضائل والرذائل الاخلاقية التي بدأت تترى اجزاؤها.





الفصل الاول
فضيلة الصبر

اولاً : مدلولات الصبر

أ - المدلولات اللغوية.

ب - المدلولات المصطلحية.

ج - مشتقات كلمة الصبر.

ثانياً : ما هية الصبر.

أ - خصائص الصبر.

ب - اقسام وانواع الصبر

ج - علائم الصبر.

د - ثمار الصبر.

ثالثاً : التدرب على الصبر.

أ - منهج الغزالي.

ب - المنهج المقترح.



المبحث الاول
مدلولات الصبر

يقتضي فهم مدلولات الصبر، الوقوف اولا على المدلولات اللغوية، ثم التعرف على المدلولات المصطلحية، وأخيراً فإن الضرورة العلمية للتعمق في مدلولات الصبر تستلزم الإطلاع على مشتقات هذه الكلمة وسأتناول كل ذلك قي ثلاثة مطالب مستقلة وذلك بتفصيل موجز.

المطلب الاول
المدلولات اللغوية

لو تناولنا المعاجم اللغوية لوجدناها تتناول كلمة الصبر ومشتقاتها كما ياتي:

صَبَرَ يَصْبُرُ صبراً صَبَرَ على الامر : إحتمله.

صَبر يصَبْر تصبيرا : ١ – تصبره : دعاه الى الصبر ، ٢ – صبر الطعام ونحوه: عالجه بما يقيه الفساد، ٣ – صَبَّر الجثة : وقاها من الفساد الى وقت، صَابَرَ يُصابِرُ مُصابرة: صابرهُ: غالبه في الصبر، تَصَبّر يتَّصبُر تصبُّرا: ١ – حمل نفسه على الصبر، ٢ – تكلف الصبر، إصطبر يصطبر إصطبارا: صبر تصبيرة: ما يتناوله الجائع من اكل قليل حتى يهيأ الطعام، صَبار، صُبّار: نبات صحراوي أوراقه عريضة دائمة الخضرة فيها أشواك، صبار (جمع : صبارون): صيغة مبالغة من الصبر، صبر مصدر صبر، قتله صبرا: حبسه حتى مات، صِبْر: نبتة ذات عصارة مرة. صُبْرة (جمع صُبَر) كومة من الحبوب وغيرها بلا كيل أو وزن[1].

صبور: ١ – الصبور: اسم من أسماء الله الحسنى، ٢ – جمع: صُبُر، معتاد الصبر، قادر عليه.

مُصَبَّر جمع: مُصَبَّرات، كل ما يحفظ في علب لوقت ما للوقاية من الفساد.

ويذهب الجوهري الى أن للصبر معنيين لغوي وشرعي (مصطلحي)، فأما المعنى اللغوي فهو حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة، يصبر صبراً وصَبَّرته انا: حبسته قال عزَّ ثناؤه: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم».

---

(١) انظر : ابن منظور : (محمد مكرم بن منظور): لسان العرب، ج ٤، بيروت،: دار صادر، ١٩٥٥، ص ,٤٣٨
الخليل النحوي : المعجم الميسر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس: لاروس – ١٩٩١ ص ٢٨١ وما بعدها.

اما المعنى الثاني لكلمة الصبر برأي الجوهري فهو المعنى الشرعي وهو حبس النفس على ما أمرت به من مكابدة الطاعات والصبر على البلاء وعلى أنواع الضرر في غير معصية(١).

المطلب الثاني
المدلولات المصطلحية

أصل كلمة الصبر : المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

ويقال صبر، يصبر، صبراً، وصبر نفسه، ويقال صبرت فلاناً إذا حبسته وصبرته (بالتشديد) إذا حملته على الصبر، وصبرت الرجل إذا قتلته صبراً أى أمسكته وحبسته للقتل، وفي الحديث الشريف نهى عن المصبورة وهي الشاة والدجاجة ونحوهما تصبر للموت فتربط فترمى حتى تموت(٢).

والتحقيق أن في الصبر ثلاثة معان: المنع والشدة والضم، أى منع النفس عن الجزع، وتحمل شدة الموقف الناجم عن الصبر وضم النفس عن الجزع(٣).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: الصبر هو حبس النفس على كريه تتحمله، أو لذيذ تفارقه، وهو ممدوح ومطلوب(٤).

وقال الجنيد البغدادي(٥): الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس(٦).

وفسّر أبو القاسم الحكيم، قوله تعالى: «واصبر وما صبرك إلا بالله»(٧) فقال «واصبر»: أمر بالعبادة، «وما صبرك إلا بالله»: عبودية، فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك، فقد انتقل من درجة العبادة الى درجة العبودية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بك أحيا وبك أموت»(٨).

---

(١) الجوهري : الصحاح، ج ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ص ٧٠٦ .

(٢) ابو داود – ج ٣ – حديث رقم ٢٨١٦ نهى رسول الله عن صبرالشاة النسائي – ج ٧ – ٩ صفحة ٢٣٨ نهى رسول الله عن التصبر، ابن ماجة – ج ٢ – حديث عن رقم ٣٥٧٩ نهى الرسول عن صبر البهائم

(٣) ابن قيم الجوزية (محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي الدمشقي – توفي ٧٥ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين تحقيق ابو سهل: نجاح عوض صيام، المنصورة بمصر: مكتبة الايمان: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص ١٥ .

(٤) ابو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، بيروت – دمشق، دار المجد ص ١٨٣، الرسالة القشيرية، طبعة بغداد، دار التربية ص ١٤٤ .

(٥) هو من كبار الزهاد الصوفية، ولد ونشأ في العراق، وتوفى في سنة ٢٩٧هـ – ٩١٠م.

(٦) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٣، طبعة بغداد، ص ١٤٤ .

(٧) سورة النحل – الآية : ١٢٧ .

(٨) رواه مسلم والبخاري واحمد عن ابي ذر، ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي واحمد عن طريفه.، ورواه مسلم واحمد والنسائي عن برار بن غازي (كان اذا اخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: باسم الله احيا وباسمه اموت».

قال العلامة الجرجاني : الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب (عليه السلام) بالصبر بقوله: «انا وجدناه صابراً»(١) مع دعائه ونحن ما خوطبنا بالرضا بالمقضي، والضر هو المقضى به، وهو مقضي به على رفع الضرر عنه بقوله: «وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين»(٢) فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره، ولا يكون كالمقاومة مع الله تعالى، ودعوى العمل بمشاقته، قال تعالى: «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون»(٣) فإن الرضا بالقضاء لا يقدح في الشكوى الى الله ولا الى غيره، انما يقدح بالرضا في المقضى به، العبد سواء رضي به أو لم يرض(٤) كما قال صلى الله عليه وسلم :(من وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه)(٥) وانما لزم الرضا بالقضاء، لان العبد لابد أن يرضى بحكم سيده.

وقال احدهم : الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وبلا ظهور شكوى.

وقال الخواص : الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقال أحدهم : الصبر : شجاعة النفس وثبات القلب عند موارد الاضطراب(٦).

وقال الراغب الاصبهاني : الصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع(٧).

وقال ذو النون المصري: الصبر هو التباعد عن المخالفات، والسكوت عند تجرع غصة البلية، واظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة(٨).

---

(١) سورة ص الآية ٤٤ .

(٢) سورة الانبياء الآية ٨٣ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٧٦ .

(٤) الجرجاني (على بن محمد بن علي: ٧٤٠-٨١٦هـ - ١٣٤٠-١٤١٣م كتاب التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، ط ٢ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١٧٢.

(٥) رواه مسلم واحمد والترمذي وابن ماجة.

(٦) ابن قيم الجوزية : المرجع السابق، ص ١٧ .

(٧) الراغب الاصبهاني : المفردات، بيروت، ص ٣١٢ .

(٨) المرجع السابق، في الموضع ذاته.

المطلب الثالث
مشتقات كلمة الصبر

يمكن – لغويا – اشتقاق عدة كلمات من كلمة الصبر، قال ابو عبد الله بن خفيف: (الصبر على ثلاثة أقسام: متصبر، وصابر،وصبار)(١) وفيما يلي جولة سريعة على هذه المشتقات وغيرها من المشتقات الأخرى التي ترتبط بالانسان ومن ثم ننحي المصطلحات المنبتة الصلة به.

أولا : صابر :

صابر إسم فاعل، قال الله تعالى في قصة أيوب «انا وجدناه صابراً، نعم العبد» مع أنه أخبر أنه قال «مسني الضر»(٢) وقال احد الصالحين: استخرج من هذه المقالة – يعني قوله «مسني الضر– لتكون متنفساً لضعفاء هذه الأمة، وقال بعضهم «إنا وجدناه صابراً» ولم يقل «صبوراً» لان جميع احواله لم تكن تتمثل في الصبر، بل كان في بعض احواله يستلذ البلاء ويستعذبه فلم يكن في حال الاستلذاذ صابراً ولذلك لم يقل صبوراً(٣).

قال عمرو بن العاص لمعاوية : من اصبر الناس؟ قال من كان رأيه رادّا لهواه(٤).

قال الحسن البصري، يصف علياً (كرم الله وجهه): كان لا يجهل، وان جهل عليه حلم، ولا يظلم، وان ظلم ظفر، ولا يبخل، وان بخلت الدنيا عليه صبر(٥).

وقال الشاعر :

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقال الجنيد البغدادى(٦): الصابر على رجائه لا يقنط من فضله(٧).

ويعد الشاعر احمد شوقي، البنات أكثر صبرا من البنين فهن عنوان الحب والوفاء للوالدين حينما يمرضان وزائرات قبريهما حينما يموتان، فيقول:

ان البنات ذخائر من رحمة ... وكنوز حب صادق ووفاء

الساهرات لعلة او كبرة(٨) ... والصابرات لشدة وبلاء

---

(١) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٥ – طبعة بغداد، ص ١٤٥ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٠ .

(٣) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت دمشق، ص ١٨٨، طبعة بغداد ص ١٤٧ .

(٤) الجاحظ (عمرو بن بحر: ١٥٠ – ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، ج ٢، بيروت، ص ٩٨ .

(٥) المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد – توفي ٢٨٥هـ) الكامل في اللغة والادب، بيروت، مكتبة المعارف ج ٢، ص ٣٢٣ .

(٦) الجنيد بن محمد: الخراز القواريرى البغدادي، شيخ وقته، وشيخ وحده، اصله من نهاوند، ومولده ومنشأه في بغداد خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي ودرس الفقه على ابى ثور، كان يلقي في حلقته وهو ابن عشرين سنة، مات سنة ٢٩٧هـ.

(٧) ابن الملقن (عمر بن على بن احمد المصري: ٣٢٣ – ٨٠٤هـ) طبقات الاولياء، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة: مكتبة الخانجي: ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ص ١٥٠ .

(٨) كبرة : شيخوخة.

قيل لزاهد : ما أصبرك على الوحدة؟

قال: كلا، أنا أجالس ربي، اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه، وإذا شئت أن اناجيه صليت.

ثانيا : صبور

صبور صفة وهي صيغة مبالغة على وزن فعول التي تدل على ان المؤمن يتصف بصفة الصبر الجليلة بصورة دائمة.

وقيل: اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام: «تخلق باخلاقي، وان من اخلاقي انى أنا الصبور»(١).

وقال يحيى بن معاذ :

ان لله عليك نعمتين : في السراء التذكر، وفي الضراء التصبر، فكن في السراء عبداً شكوراً وفي الضراء حراً صبوراً(٢).

وقال غيره :

كن حليمـــاً إذا بليت بغيظ وصبوراً اذا اتتك مصيبـــة

فالليالى من الزمان حبـــالى مثقلات يلدن كل عجيبـــة

ثالثا : صبار

قال ابو عثمان (سعيد بن اسماعيل الحيرى)(٣): الصبّار هو الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره(٤).

وقال اعرابي من طي:

ولست بميال الى جانب الغنى اذا كانت العلياء في جانب الفقـر

وانى لصبـار على ما ينوبني وحسبك ان الله اثنى على الصبر(٥).

رابعا : الاصطبار :

هو أبلغ من الصبر، لانه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب، فالتصبر مبدأ الاصطبار، كما ان التكسب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطباراً(٦).

قال الشاعر :

أصبر ففي الصبر خير لو علمت به لكنت باركت شكراً صاحب النعم

واعلم بأنك ان لم تصطبر كـــرما صبرت قهـراً على ما خط بالقلم

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦٩ .

(٢) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٦، طبعة بغداد، ص ١٤٥ .

(٣) زاهد من الري اقام في نيسابور، توفي في سنة ٢٩٨هـ = ٩١٠م.

(٤) الجاحظ : المرجع السابق، ص ١٠٠ .

(٥) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت دمشق، ص ١٨٤، طبعة بغداد، ص ١٤٤ .

(٦) الجاحظ المرجع السابق، ص ١٦٣ .

وقال الشاعر :

على قدر فضل المرء تأتي خطـــوبه ويحمد في الصبر على ما يصيبـه
فمن قلّ فيما يتقيه اصطـــــــــباره فقـــد قل فيما يرتجيه نصيبـــــه

خامسا : المصابرة :

هي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون(١) «فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة هي حاله في الصبر مع خصمه، والمرابطة هي الثبات والاقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر، ويرابط من غير تعبد بالتقوى(٢).

وقيل المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر، كما قيل:

حـــار الصبر واستغاث بـــه الصبر فصاح المحب بالصبر صبراً(٣)

وقيل :

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى يقضي الله في أمري
وأصبر حتى يعلـــــــــم الصبر انني صبرت على شيء أمر من الصبر

وقيل في معنى قوله تعالى: «اصبروا وصابروا ورابطوا» الصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة، وقيل: إصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى، و صابروا بالله تعالى، ورابطوا مع الله تعالى(٤).

سادسا : التصبّر :

التصبّر : التكلف والتمرن والتجرع لمرارة الصبر فيصير الصبر سجية.

كما لا يزال العبد يتكلف الوقار والحلم والسكينة حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع(٥).

---

(١) ابن قيم الجوزية، المرجع السابق، ص ٢٣ .
(٢) ابن قيم الجوزية، المرجع السابق، ص ٢٣ .
(٣) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٦، طبعة بغداد، ص ١٤٥ .
(٤) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٦، طبعة بغداد، ص ١٤٥ .
(٥) ابن قيم الجوزية، المرجع السابق، ص ٢٣ .

والتصبر هو الصبر الذي يشق على النفس، فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد، وتعب شديد، أما ما يحصل من غير شدة وتعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس فهو الصبر(١).

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «من يتصبر يصبّره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»(٢).

وقال الشاعر :

تصبّر أيها العبـــــد اللبـــــيب ... لعلك بعـــد صبـــرك ما تخيب
وكل الحـــــادثات وان تناهـــت ... يكون وراءهـــا فرج قريـــــب

والتصبّر بالشيء: التشبه به، ويقال: تصبّر أباه: اذا نزع اليه في شبهه به(٣).

وقال أحمد بن الحسين الجريرى(٤) الصبر ان يفرّق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيها، والتصبّر هو السكون مع البلاء مع وجود اثقال المحنة(٥). ومن كلام بعضهم: من تصبر تصبر. الصبر يفسح الفرج ويفتح المرتتج، المحنة اذا تلقيت بالرضا والصبر كانت نعمة دائمة، والنعمة اذا خلت من الشكر كانت محنة لازمة(٦).

وقال الشاعر :

تصبر ففي اللأواء قد يحمـــد الصبر ... ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر
وان الذي أبلى هو العـــون فانتـــدب ... جميل الرضا يبقى لك الذكر والاجر
وثِـــقْ بالذي أعطى ولاءك جازعـــا ... فليس بحزم ان يروّعـــك الضـــر
فلا نعـــم تبقـــى ولا نقـــم ولا ... يدوم كلا الحالين عســـر ولا يسر
تقلب هــــــذا الأمـــر ليس بدائم ... لديه مع الأيـام حلـــو ولا مـــر

وقال آخـــر :

إصبر على مضض الادلاج في السحـر ... وفي الرواح الى الطاعات في البكر
إني رايت وفي الأيـــام تجـــربة ... للصبر عاقبة محمودة الاثــــــر
وقَــــلَ من جـــد في أمر يؤملـه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفـر

---

(١) الغزالي (ابو حامد محمد بن محمد – توفي ٥٠٥هـ): أحياء علوم الدين، ج ٤، بيروت: دار المعرفة، ص ٦٨ .

(٢) رواه مسلم والبخاري، وانظر ايضا: النووي (يحيي بن شرف النووي الدمشقي: ٦٣٧-٦٧٦هـ) رياض الصالحين تحقيق حسان عبد المنان ط ٣، عمان: المكتبة الاسلامية – مكتبة برهومة. ١٤١٣هـ، ص ٤٥ .

(٣) ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد – توفي بعد سنة ١٠١٠م): الامتاع والمؤانسة، ج ١، تصحيح: أحمد أمين واحمد الزين، بيروت: مكتبة الحياة (د. ت) ص ٤١ هامش: ١ .

(٤) الجريري : نسبة الى جرير بن معاذ، من بنى بكر بن وائل، زاهد من أصحاب الجنيد، وصحن بن عبد الله القشيري، قال أحمد بن عطاء الروذباري: مات الجريري سنة الهبير، فمررت بعد سنة، فإذا هو مستند جالس وركبته الى صدره، وهو يشير الى الله باصبعه، أنظر الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ٤٠٢ .

(٥) المرجع السابق، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٥، طبعة بغداد، ص ١٤٥ .

(٦) المبرد : المرجع السابق، ص ٣٢٣ .

المبحث الثاني
ماهية الصبر

يقتضي فهم ماهية الصبر، وإدراك جوهره الذاتي، بيان خصائصه كسلوك إنساني من جهة، وتحديد أقسامه وأنواعه من جهة ثانية، وإيضاح علائمه من جهة ثالثة، وأخيراً عرض ثماره الحلوة، وسيتم كل ذلك في أربعة مطالب مستقلة.

المطلب الأول
خصائص الصبر

للصبر خصائص ذاتية تميزه عن غيره من الفضائل، وأوجه السلوك الإنساني الرفيع الأخرى، لعل أبرزها أنه خاصية للإنسان وحده دون غيره من الكائنات الحية(١)، كما أنه خاصية للمسلم المؤمن، وأخيراً فهو خاصية سلوكية تتسم بالشدة، وسأتناول هذه الموضوعات بثلاث فقرات مستقلة.

الفقرة الأولى
الصبر خاصية للإنسان وحده

يذهب الغزالي الى أن الصبر خاصية الأنس، ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة. أما في البهائم فلنقصانها، وأما في الملائكة فلكمالها. وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً.

واما الملائكة فإنهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والأبتهاج بدرجة القرب منها، ولم تسلط عليها شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف.

وأما الأنسان فإنه خلق إبتداء ناقصا كالبهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح على الترتيب، وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم، ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين، احدهما يهديه والآخر يقويه(٢) فيتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص

(١) الغزالي (ابو حامد محمد بن محمد – توفي ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين، ج ٤، بيروت دار المعرفة، ص ٦٢ .
(٢) الغزالي : المرجع السابق، ص ٦٢ .

بصفتين، احداهما معرفة الله تعالى، معرفة رسوله، والثانية معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب، وكل ذلك حاصل من الملك الذي اوكل إليه الهداية والتعريف. فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط، فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ، وأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة.

فافتقر الإنسان الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكاً آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة أخرى يقوى، ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد.

فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثاً دينياً، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها، باعث الهوى، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال، ومعركة هذا القتال قلب العبد، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشيطان فإذنْ ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر، وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى(١).

الفقرة الثانية

الصبر خاصية للمسلم المؤمن

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الصبر نصف الإيمان».

فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان، ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن، ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان(٢).

ويبلغ الإيمان أوجه لدى بعض الصالحين الزاهدين اذ يقول: يونس بن عبيد: «لو أمرنا بالجزع، لصبرنا»(٣).

---

(١) الغزالي: المرجع السابق، ص ٦٥، وانظر ايضا : ابن الجوزي : مختصر منهاج القاصدين، القاهرة: دار الاسراء: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ٢٧٦ .

(٢) الغزالي : المرجع السابق ص ٦٦ .

(٣) الجاحظ : المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٨ ، المبرد : الكامل في اللغة والادب، ص ٣٢٢ .

ويذهب الغزالي الى أن الصبر نصف الايمان باعتبارين، وعلى مقتضى اطلاقين:

أحدهما : أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً، فيكون للإيمان ركنان أحدهما اليقين، والآخر الصبر، والمراد باليقين: المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبرة الى وصول الدين، والمراد بالصبر: العمل بمقتضى اليقين، اذ اليقين معرفة ان المعصية ضارة، والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل، فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الإعتبار.

الإعتبار الثاني : أن يطلق على الأحوال المثمرة لا المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة الى ما ينفعه حال الشكر، فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الإعتبار، كما أنه أحد الشطرين بالإعتبار الأول.

ولما كان الصبر صبراً عن باعث الهوى بثبات باعث الدين، وكان باعث الهوى قسمين، باعث من جهة الشهوة، وباعث من جهة الغضب، فالشهوة تطلب اللذيذ، والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبراً على مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ويتم كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً.

فهكذا ينبغي أن نفهم تقديرات الشرع بحدود الآمال والأحوال ونسبتها الى الإيمان: والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان، فإن إسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة(١).

الفقرة الثالثة

الصبر صعب باعتباره خاصية سلوكية شديدة

الصبر يعني الشدّة، فهو مسلك صارم وليس سهلاً، ونتعرض لهذه الصعوبة بشكل حكايات عن أنبياء، اخذت بعضها مما جرى للنبي موسى عليه السلام، كما نتعرض لهذه الصعوبة في مجالي النثر والشعر العربيين الأسلاميين، وفيما يأتي بيان ذلك بتفصيل موجز مناسب.

اولا : حكايات عن النبي موسى عليه السلام :

حينما سافر النبي موسى عليه السلام مع رفيقه (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً). قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن

(١) الغزالي : المرجع لسابق، ٦٦ .

مما علمت رشداً). قال انك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك امراً)(١).

والقصة كما هي معروفة هي التي جرت بين النبي موسى والخضر عليهما السلام اذ الخضر بأمر ربه أغرق سفينة وقتل غلاماً وهدم جداراً، وبطبيعة الحال فإن موسى لم يصبر، في كل حادث من هذه الحوادث الثلاثة، ففي المرة الأولى قال الخضر: (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا)(٢).

وفي الحادثة الثانية، كرر قوله: (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً)(٣).

أما في المرة الثالثة : (قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً)(٤).

ففي هذه الحكاية التي فصّلها القرآن الكريم لم يكن النبي موسى صابراً ولم يستطع الصبر، خصوصاً وهو في الأربعين من عمره وأرسله الله رب العالمين لإصلاح البشر، ولكنه لم يكن يملك الصبر المناسب على الرغم من اتفاقه مع الخضر عليه السلام على أن يكون صابراً ولا يعصي له أمراً، ففي بعض المجالات يتعذر الصبر ويكون محالاً، والقرآن الكريم يزودنا بحكايات في هذا الشأن.

ثانيا : صعوبة الصبر في الشعر

قال الشاعر :

لعمرك ما الشكوى بأمر حزامة ... ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر(٥)

وقال الشاعر :

واني لادري أن في الصبر راحة ... ولكن إنفاقي على الصبر من عمري

وقال البرقعى :

من حمد الصَّبْرَ وحالاته ... فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جُرّعْتُها ... أمّر في الذوق من الصبر(٦)

وقال أبو القاسم بن ابي العلاء الأصبهاني :

فإن قيل لي صبراً فلا صبر للذي ... غدا بيد الأيام تقتله صبراً

وإنْ قيل لي عذراً فوالله ما أرى ... لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذراً(٧)

(١) سورة الكهف : الآيات ٦٥ – ٦٩ . (٢) سورة الكهف : الآية ٧٢ . (٣) سورة الكهف : الآية ٧٥ . (٤) سورة الكهف : الآية ٧٨ .

(٥) الجاحظ : المرجع السابق، ج٣، ص ١١٣، المبرد، المرجع السابق، ج٢، ص٢١٦ .

(٦، ٧) الثعالبي: خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٧٤، – تحسين القبيح وتقبيح الحسن تحقيق شاكر العاشور، بغداد: وزارة الاوقاف، ١٤٠١هـ = ١٩٨٦م، ص ١١٧ .

– التمثيل والمحاضرة: تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة، مكتبة عيسى البابى الحلبي: ١٩٦١، ص ٢١١ .

وقال أحد الاعراب يرثي ولده :

لما دعوت الصبر بعدك والأسى ... أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه ... سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر(١).

وقال محمد بن عبد الله يرثي إبنا له :

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحمد في المصائب كلها ... إلا عليك فإنه مذموم(٢)

ثالثا : صعوبة الصبر في النثر العربي الأسلامي :

يقال الصبر، كإسمه والإنفاق عليه من العمر(٣).

وقال بعضهم : الصبر تجرع الغصة وانتظار الفرصة(٤).

وقال بعضهم هذا القول بصيغة الجمع: الصبر تجرع الغصص وانتظار الفرص(٥).

وقال أحدهم : الصبر مر، ولا يتجرعه إلا حر (٦).

وقال أعرابي : كن حلو الصبر عند مرارة النازلة(٧).

ولعل طلب المؤمنين العون من رب العالمين كي يمدهم بالصبر دلالة على صعوبة هذا المنال، ومن ذلك أن علي بن موسى بن هامان، كثيراً ما كان يقول: «ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين»(٨).

(١) الجاحظ : البيان والتبيين، ج٢، ص ٥٨ .
(٢) المبرد : المرجع السابق، ص ٢٢٣ .
(٣، ٤، ٥) الثعالبي : المراجع السابق ذكرها، في المواضع ذاتها.
(٦، ٧) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٢٠ .
(٨) الجاحظ : البيان والتبيين، ج ٣، ص ٩٩ .

المطلب الثاني
اقسام وانواع الصبر

ان القيام بجولة علمية في عالم الصبر يزودنا بحصيلة ثَّرة تبين اقسامه وانواعه، واذا كان الصبر كفضيلة واحدة فإن هذه الجولة التي ستبين بعد قليل تكشف لنا وكأننا امام: «أصبار» تخرج عن الحصر، بيد اننا نؤجل الآن الحكم فيما اذا كان ثمة صبر واحد لا ثاني له، ام اننا في الحقيقة امام «اصبار» تتطلب التصنيف والترتيب، ويمكن المرور امام اقسام وانواع الصبر من حيث: العدد، والاشخاص، وحرية الارادة، والشرع، وهدف هذا التصنيف ادراك كل صور ومضامين الصبر بحيث نضع كل مجموعة من الصبر ضمن عنوان محدد، واذا كانت عناوين هذه الاشكال والمحتويات من الصبر مستقلة فإن الصبر يتداخل بين اكثر من قسم بحيث يتخذ هنا عنوانا وهناك عنواناً آخر على الرغم من تماثل المضمون الا اننا ننظر لهذا الصبر من هذا الجانب او الزاوية، وذلك من جانب وزاوية اخرى، وسنقسم هذا المطلب الى اربع فقرات في ضوء التصنيف المار ذكره قبل قليل.

الفقرة الأولى
تقسيم الصبر من حيث العدد

تطرق بعض الفقهاء والزهاد والكتاب الى تقسيم الصبر من حيث العدد، بعضهم قسّمه الى قسمين وآخرون قسّموه الى ثلاثة، وذهب غيرهم الى ان الصبر اربعة، وفيما يلي جولة علمية في هذا الشأن:

أ - الصبر صبران

١ - كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى ابي موسى الاشعري: «عليك بالصبر، واعلم ان الصبر صبران، أحدهما افضل من الآخر: الصبر في المصيبات حسن، وافضل منه: الصبر عما حرم الله تعالى، واعلم ان الصبر ملاك الايمان، وذلك بأن التقوى افضل البر، والتقوى بالصبر»(١).

٢ - قال حكيم : «الصبر صبران، صبر عما تحب وصبر عما تكره، والرجل من جمع

(١) ورد هذا الكلام في عدة مراجع تراثية، انظر على سبيل المثال: الغزالي: المرجع السابق ص ٦٢ .

بينهما» وفي المعنى ذاته قال حكيم آخر: الصبر صبران صبر على المكروه، فيما يلزمك فعله، وصبر عما يدعوك اليه الهوى.

ومثله قول الحسن البصري : الصبر صبران: صبر عند المصيبة، وصبر عند المعصية، فمن قدر على ذلك فقد نال افضل الصبرين(١).

٣ – قال ابن المقفع : الصبر صبران : صبر على ما يكره، وصبر عما يحب، والصبر على المكروه اكبرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاصا (صلبا) على الضرب، او رجله قوية على المشي او يده قوية على العمل، فإنما هذا من صفات الحمير، ولكن الصبر الممدوح ان يكون للنفس غلوباً، وللامور محتملاً، وفي الضراء متجملاً (لايظهر المسكنة والذل) ولنفسه عند الرأي والحفاظ (الغضب) مرتبطاً (ساكناً) وللحزم مؤثراً، وللهوى تاركاً، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً، وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً، ولبصيرته بعزمه منفذاً(٢).

٤ – قال الامام القشيري في رسالته : الصبر على اقسام: صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب، فالصبر على الكسب على قسمين: صبر على ما امر الله تعالى به، وصبر على ما نهى عنه، واما الصبر على ما ليس بكسب للعبد فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما يناله فيه مشقة»(٣).

٥ – قال ابو علي الدقاق : حقيقة الصبر الخروج من البلاء حسب الدخول فيه، مثل ايوب عليه السلام اذ قال في آخر بلائه (مسني الضر وانت ارحم الراحمين) فحفظ أدب الخطاب، حيث عرَّض بقوله: (وانت ارحم الراحمين) ولم يصرح بقوله: (ارحمني)، واعلم ان الصبر على ضربين: صبر العابدين، وصبر المحبين، فصبر العابدين احسنه ان يكون محفوظاً، وصبر المحبين احسنه ان يكون مرفوضاً، وفي هذا المعنى انشدوا:

تبين يوم البين ان اعتزامه　　　على الصبر من احرى الظنون على العبد

وقال ابو علي الدقاق : اصبح يعقوب (عليه السلام) وقد وعد الصبر من نفسه، فقال: (فصبر جميل) أي فشأني صبر جميل، ثم لم يمس حتى قال (يا أسفا على يوسف)(٤)، (٥) ويذهب بعضهم الى:

(١) ابن الجوزي : الحسن البصري، بيروت (د.ت) ص ٢٣ .

(٢) ابن المقفع (عبد الله بن المقفع ١٠٦ – ١٤٢هـ = ٧٢٤ – ٧٥٤م) الادب الصغير والادب الكبير، تحقيق د. انعام فوال، بيروت: دار الكتاب العربي: ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ص ١١٤ وما بعدها – وانظر طبعة اخرى: بيروت: دار صادر (د.ت) ص ١١٠ وما بعدها.

(٣) ابو القاسم القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف زريق وعلى عبد الحميد بلطة جي، بيروت – دمشق: دار الخير: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ١٨٣ ونسخة اخرى: شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري، بغداد: دار التربية (د.ت) ص ١٤٤ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٤ .

(٥) الرسالة القشيرية – طبعة بيروت، دمشق ص ١٨٨–١٨٩ طبعة بغداد ص ١٤٧ – ١٤٨ .

- إن كان الصبر عن شهوة الفرج المحرمة سُمِيِّ عفة، وضدها الفجور والزنا والعهر.
- وإن كان عن شهوة البطن وعدم التسرع في الطعام، او تناول مالا يجمل منه سُمِيِّ شرف نفس وشبع نفس، وسُمِيِّ ضده شرهاً ودناءة ووضاعة نفس.
- وإن كان عن اظهار مالا يحسن اظهاره من الكلام سُمِيِّ كتمان سر وضده اذاعة وافشاء او تهمة او فحشاء او سباً او كذباً وقذفاً.
- وإن كان عن فضول العيش سُمِيِّ زهداً، وضده حرصاً، وان كان عما يكفي من الدنيا سُمِيِّ قناعة وضده الحرص ايضاً.
- وإن كان عن اجابة داعي الغضب سُمِيِّ حلماً وضده تسرعاً.
- وإن كان عن اجابة داعي العجلة سُمِيِّ وقاراً وثباتاً وضده طيشاً وخفة.
- وإن كان عن اجابة داعي الفرار والهرب سُمِيِّ شجاعة وضده جبناً وخوراً.
- وإن كان عن اجابة داعي الانتقام سُمِيِّ عفواً وصفحاً، وضده انتقاماً وعقوبة.
- وإن كان عن اجابة داعي الامساك والبخل سُمِيِّ جوداً وضده بخلاً(١).
- وإن كان عن اجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سُمِيِّ صوماً.
- وإن كان عن اجابة داعي العجز والكسل سُمِيِّ كيّساً.
- وإن كان عن اجابة داعي القاء الكَلِّ على الناس (الثقل عمَّن كلَّ عمَّا يتكلف) وعدم حمل كَلِّهم سُمِيِّ مروءة.
- وسُمِيِّ عدلاً اذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين وضده الظلم.
- وسُمِيِّ سماحة اذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار(٢).

٦ – ذهب الامام الغزالي الى ان الصبر صبران، احدهما بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو اما:
- بالفعل : كتعاطي الاعمال الشاقة كالعبادات وغيرها.
- واما بالاحتمال : كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محموداً اذا وافق الشرع.

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر : وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.
- ان كان صبراً على شهوة البطن والفرج سُمِيِّ عفة.

---

(١) ابن القيم الجوزية (محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعى الدمشقي: ٦٩١-٧٥١هـ): عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق ابو سهل: نجاح عوض صيام، المنصورة بمصر: مكتبة الايمان ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص ٢١ وما بعدها.
(٢) ابن القيم الجوزية : المرجع السابق، ص ٢٢ .

- وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت اسـاميه عند الناس باختـلاف المكروه الذي غلب على الصبر، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمّى الجزع والهلع، وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها.
- وإن كان في احتمال الغنى سميّ ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر.
- وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن.
- وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر.
- وإن كان في اخفاء كلام سميّ كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً.
- وإن كان عن فضول العيش سميّ زهداً ويضاده الحرص.
- وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سميّ قناعة ويضاده الشره، فأكثر اخلاق الايمان داخل الصبر(١).

وفي ذات الاتجاه يذهب بعضهم الى انه «ربما خولف الصبر بين اسمائه بحسب اختلاف مواقعه:
- إن كان حبس النفس بمصيبة سُميِّ صبراً لا غير ويضاده الجزع.
- وإن كان في محاربة سُميِّ شجاعة، ويضاده الجبن.
- وإن كان في نائبة مؤذية سُميِّ رحب الصدر، ويضاده الضجر.
- وإن كان في امساك الكلام سُميِّ كتماناً، ويضاده الهذر والافشاء.
- وإن كان في فضول العيش، سُميِّ الزهد، ويضاده الحرص.
- وإن كان في اليسير من الدنيا سُميِّ ادب القناعة، ويضاده الشره(٢).

(١) الغزالي، المرجع السابق، ص ٦٦ وما بعدها.
(٢) يتفق عدة مؤلفين على هذا التحليل: الراغب الاصبهاني (ستوفى ٥٠٢هـ) مفردات الراغب، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ص ٢٧٣ – محمد بن علان الصديقي الاشوي (متوفى ١٠٥٧هـ) دليل الفالحين، ج١، ادارة البحوث والارشاد بالسعودية، ص ١٣٧، القاري (متوفى ٨٥٥هـ) حركاة المصابيح، شرح مشكاة المصابيح، ج٥، بيروت دار احياء التراث، ص ٨٤ .

« ب - الصبر ثلاثة »

١ - قال الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: «الصبر إما صبر على المصيبة، او على الطاعة، او على المعصية، وهذا القسم اعلى درجة من القسمين الاولين»(١).

٢ - قال ابن عباس (رضي الله عنهما): «الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه: صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة(٢).

٣ - قال ابن القيم الجوزية : اعلم ان انواع الصبر على ثلاثة انواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر عن امتحان الله. فالاولان: صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه، وكان شيخ الاسلام (ابن تيمية) رحمه الله يقول: «الصبر على اداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وافضل، فإن مصلحة فعل الطاعة احب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة ابغض اليه واكره من مفسدة وجود المعصية»(٣).

٤ - ويذهب رأي معاصر الى ان الصبر ثلاثة انواع هي :

الاول : صبر على ما امر الله به من الطاعات، وكلف من العبادات وما يلحق النفس في اقامتها من المشقة.

الثاني: صبر عن ما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي.

الثالث : صبر على المصائب المؤلمة والكوارث المفجعة والابتلاء والامتحان مهما كانت اسبابه ومهما تشكّل وتلون(٤).

« ج - الصبر أربعة. »

ان تحليل انواع الصبر يقودنا الى انواع متعددة واقسام متباينة، وفي هذا الشأن يمكن ادراج اربعة انواع من الصبر هي:

- صبر على البلوى، الممثلة بقضاء الله تعالى، كالموت الذي يداهم الحبيب والعزيز.
- صبر على الشدة، والممثلة بصروف الزمن كالبطالة التي تكون أشق اذا كان المرء صاحب اسرة.

---

(١) ابن ابي الحديد (عز الدين بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد المدائني: ٥٨٦ - ٦٥٥هـ) شرح نهج البلاغة، المجلد الاول - الجزء الاول، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ٣١٩ .

(٢) ذكره : الغزالي، المرجع السابق، ص ٧٠ وما بعدها.

(٣) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، الجزء الثاني، القاهرة ص ٥٦٢ .

(٤) د. صالح بن ناصر الخزيم : الصبر، بيروت: دار ابن حزم: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٣١، ٣٤، ٣٨ .

- وصبر على الحاجة، الممثلة بحاجة الجسم البشري، والحاجة قد تكون مؤقتة الى حد ما، كحاجة الجسم الى الغذاء جراء الجوع، والحاجة الى الارتواء جراء العطش، او الحاجة الى الدفء جراء البرد القارص، وقد تكون الحاجة غير مؤقتة كحاجة الانسان الى الجماع دون ان يكون متزوجاً فيضطر الى الصبر بدافع العفة والتقوى.

- صبر على الناس، الممثل بأذى الناس، وهو اصعب انواع الصبر لاستمرار اذى الناس الذي يلاحق المرء حتى ولو اعتزلهم، ففي الاختلاط منافع واذى، واحياناً يمارس الناس اذاهم تجاه بعضهم بعضاً لان الطبيعة البشرية جزء من بنية هذا المجتمع المريض بأخلاقه وقيمه، لذلك فإن شر بعضهم لا يجعله يدرك انه يسبب اذى مادياً او معنوياً للآخرين، كما ان استلذاذ بعضهم للغيبة والنميمة يجعله يمارس هذه اللعبة غير الاخلاقية بشعور عال من السعادة الفردية، وفي ضوء هذا الادراك المعرفي فإن الصالحين الزهاد هم الاكثر تعرضاً لاذى الناس، لان الاشرار يروق لهم ازعاج الاخيار، كما أن من الضرورة ان يّوطن الصالح نفسه على تقبل اذى الآخرين كحقيقة يصعب التغاضي عنها او الغاؤها، فالصبر على أذى الناس يفضي الى تراجع بعض المؤذين عن أذاهم لعدم استجابة الشخص المقابل لندائهم الشرير، وما أن ينسحب مؤذ من ساحة الاذى حتى يحل محله مؤذ جديد، فالحياة البشرية لا تبخل بالاشرار، ولكن الحكمة تذهب الى تجاهل الاذى عن طريق الصبر عليه صبر الكرام والاتقياء.

الفقرة الثانية

تقسيم الصبر في ضوء حرية الارادة

يقسم الغزالي الصبر في ضوء حرية إرادة الانسان كما يلي :

١ - إما ما يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي.

٢ - او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب.

٣ - او لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام :

(القسم الاول) : ما يرتبط باختياره، وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان:

الضرب الاول : الطاعة، والعبد يحتاج الى الصبر عليها، فالصبر على الطاعة شديد،

لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية.. ومن العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاث حالات :

الحالة الاولى : قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء.

الحالة الثانية : حالة العمل: كي لا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه.

الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل، اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب.

والطاعات تنقسم الى فرض ونفل، قال تعالى: «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى» فالعدل: فرض، والاحسان: نفل، وايتاء ذي القربى هو: المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج الى الصبر.

الضرب الثاني : المعاصي: فما احوج العبد الى الصبر عنها واشد انواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، ثم ان كان الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس، كالصبر على معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم.

ومن لا يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره، فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة.

(القسم الثاني) : ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل او قول جنى عليه في نفسه او ماله، فالصبر على اذى الناس اعلى مراتب الصبر، لانه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً.

(القسم الثالث) : مالا يدخل تحت حصر الاختيار كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الإموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وسائر انواع البلاء فالصبر على ذلك في اعلى مقامات الصبر(١).

---

(١) الغزالي : المرجع السابق ص ٧٠ .

الفقرة الثالثة

تقسيم الصبر في ضوء الشرع

(أ) الصبر برأي الامام الغزالي ينقسم باعتبار حكمه إلى: فرض، ونفل، ومكروه، ومحرّم:

- فالصبر عن المحظورات فرض.
- والصبر على المكاره نفل.
- والصبر على الاذى المحظور محظور، كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرّم.
- والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع.

فليكن الشرع محك الصبر، فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة(١).

(ب) ينقسم الصبر برأي الامام ابن قيم الجوزية الى واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح، كما يأتي:

اولا - الصبر الواجب : ثلاثة انواع :

١ - الصبر عن المحرمات.

٢ - الصبر عن اداء الواجبات.

٣ - الصبر عن المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالامراض والفقر وغيرها.

ثانيا : الصبر المندوب : ثلاثة انواع :

١ - الصبر عن المكروهات.

٢ - الصبر عن المستحبات.

٣ - الصبر عن مقابلة الجانى بمثل فعله.

ثالثا : الصبر المحظور : انواع : امثلة

- الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت.
- الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام اذا خاف بتركه ان يموت، قال طاووس وبعده الامام احمد بن حنبل: من اضطر الى اكل الميتة والدم ولم يأكل فمات دخل النار.

---

(١) الامام الغزالي : المرجع السابق، ص ٦٩ .

- صبر الانسان على ما يقصد هلاكه من سبع او حيّات او حريق او ماء او كافر يريد قتله، بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين، فهو مباح له بل مستحب.

رابعا : الصبر المكروه : انواع : امثلة :

- الصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع الاهل مما يؤدي الى ضرر البدن.
- الصبر عن جماع الزوجة اذا احتاجت ذلك ولم يتضرر هو.
- الصبر عن المكروه .
- الصبر عن فعل المستحب.

خامسا : الصبر المباح :

الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه والصبر عليه، وبالجملة: فالصبر على الواجب: واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح(١).

ولاشك في ان الصبر من اظهر الاخلاق في الاسلام وقد تبينت احكامه في القرآن الكريم سواء في الآيات المكية او المدنية.

وقال الامام الغزالي: اعلم ان الصبر ضربان:

احدهما : ضرب بدني، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو إما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة إما من العبادات او من غيرها، وإما بالاحتمال، كالصبر عن الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة.

وقال الغزالي : وذلك قد يكون محموداً اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر، وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع، ومقتضيات الهوى، فأكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال: «هو الصبر» لانه اكثر اعماله واعزها، كما قال: «الحج عرفة».

وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك، وسمى الكل صبراً فقال تعالى: «والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون» (البقرة الآية ١٧٧).

اي الصبر على المصيبة، وعلى الفقر، والمحاربة.

---

(١) ابن القيم، المرجع السابق، ص ٨٥ .

ولذلك كثرت اوامر الله لرسوله المصطفى الامين بالصبر حتى تكرر في عشرين موضعاً من القرآن الكريم، بعضها بصيغة (اصبر) وهي ثماني عشرة واثنتان بصفة (اصطبر) مثال ذلك:

* «واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين» (هود: ١١٥).
* واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتَعُد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (الكهف: ٢٨).
* فاصبر على ما يقولون (طه: ١٣٠).
* فاصبر ان وعد الله حق (الروم: ٦٠).
* فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم (الاحقاف: ٣٥).
* فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم (الطور: ٤٨).

وهذا يعني ان الله سبحانه وتعالى يطلب من رسوله الكريم ان يصبر وفي الوقت نفسه يقول له (فإنك بأعيننا) اي انك غالب للكافرين ومنصور من رب العالمين.

فالكفار آذوا الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم بمثل قولهم مجنون، وساحر، ومفتر، واساطير الاولين ولذلك طلب عز وجل منه الا يحزن من ذلك كما جاء في اكثر من آية (فلا يحزنك قولهم..) (يس: ٧٦).

فليكن للدعاة الصبر اسلوباً في الحياة ونهجاً في العمل، اذ ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان لنا القدوة الحسنة والاسوة الطيبة وصبر صبراً جميلاً كي يبلغ رسالة ربه، دون ان يرده اذى او محاربة.

فلا يستعجل المؤمن النصر او الفلاح وانما يجب ان يقتدي بالرسل عامة وبالمصطفى خاصة، لان العمل الاسلامي في الوقت الحاضر ليس سهلاً، وان الاسلام يُحارب من اكثر من جهة، لذلك فإن فضيلة الصبر تمد الداعية بخلق الثبات على المبدأ، واليقين بأن الله عز وجل ناصر لدينه لا محالة.

المطلب الثالث
علائم الصبر

هناك صور واشكال ومظاهر للصبر هي بمثابة العلائم الحقيقية لوجوده والالتزام الجاد بأخلاقه ويمكن اعتبار معظم الفضائل الاخلاقية جامعة لفضيلة الصبر لانها تنطوي على صورة الصبر المعهودة فيما اذا اخذنا بمفهوم واسع فضفاض للصبر، وقد تم بيان ذلك.

ان البلاء او البلوى واقع يختبر فيه صبر المؤمن، ويتخذ الصبر صوراً مختلفة ذات طبيعة واحدة، وسأحلل هذه المسائل في اربع فقرات مستقلة.

الفقرة الاولى
البلاء محك الصبر

في البلاء يُعرف صبر المؤمن فهو امتحان حقيقى له وفيما يأتي بعض الاقوال في هذا الشأن:

١ – قال يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي[١]: «عند نزول البلاء: تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة المقدور، تظهو حقائق الرضا»[٢].

٢ – وقال ابن عطاء (احمد بن عطاء الروذباري)[٣] «الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب» كما قال: «الصبر هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى»[٤].

٣ – وقال ابو عثمان الجبري: «الصبر هو المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية»[٥].

٤ – وقال ذو النون المصري[٦] : الصبر: التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية، واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات الادب[٧].

الفقرة الثانية
الصبر يعني ترك الشكوى

١ – قال رويم بن احمد(٨): «الصبر: ترك الشكوى»[٩].

---

(١) هو احد الزهاد الصوفية، توفي سنة ٢٥٨هـ.
(٢) ابو عبد الرحمن السلمي : طبقات الصوفية، ص ١١٢ .
(٣) هو احد الزهاد الصوفية، توفي في صور بالشام، سنة ٨٦٩هـ ـ ٩٧٩م .
(٤) ابو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية طبعة بيروت، دمشق، ص ١٨٢ طبعة بغداد، ص ١٤٢ .
(٥) المرجع السابق، ص ١٨٤، ص ١٤٤ على التوالي بالنسبة للطبعتين.
(٦) هو : ذو النون ثوبان بن ابراهيم، نوبي مصرى، زاهد كبير توفي في سنة ٢٤٥هـ ٨٥٩م.
(٧) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت . دمشق، ص ١٨٤، طبعة بغداد ١٤٤ .
(٨) هو احد الزهاد الصوفية الكبار، بغدادي النشأة والاقامة – توفي سنة ٣٠٢هـ ٩١٥م.
(٩) الرسالة القشيرية، طبعة بيروت – دمشق، ص ١٨٤، طبعة بغداد، ص ١٤٤ وانظر ايضاالسلمي: طبقات الصوفية، ص ١٨٢ .

٢ – قال سفيان الثوري: «ثلاث من الصبر: الا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولاتّزكي نفسك».

٣ – وسئل عبد الله بن محمد الخراز الرازى[١] عن علامة الصبر، فقال: ترك الشكوى واخفاء الضر والبلوى[٢].

٤ – اذا كان اظهار البلاء يعني اظهار الشكوى فإن اظهاره دون قصد الشكوى لا ينطوي على اخلال بأخلاقية الصبر، وهذا ما قاله ابو علي الدقاق: «ان من الصبر ان لا تعترض على التقدير، فأما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر»[٣].

الفقرة الثالثة

الصبر يعني قوة التحمل النفسي

١ – قوة التحمل النفسي تقتضي ان يكونِ المرء الصابر متفائلاً لا متشائماً، فقد كان ابن شبرمة، اذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع[٤].

٢ – كما ان قوة التحمل النفسي تظهر المصاب بمصيبة وكأنه لم يصب بشيء، وقيل في قوله تعالى: «فاصبر صبراً جميلاً»[٥] الصبر الجميل: ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو[٦] فالصابر غير معروف في القوم بصبره وكتمان مصيبته، عكس المجزوع الذي يفضحه جزعه بين قومه.

الفقرة الرابعة

الاستعانة بالله من مظاهر الصبر

١ – قال عمرو بن عثمان المكي[٧] الصبر هو الثبات مع الله تعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعاء»[٨].

٢ – وقال ابراهيم بن احمد بن اسماعيل الخواص[٩] الصبر هو الثبات على احكام الكتاب والسنة»[١٠].

٣ – وقال ذو النون المصري: «الصبر هو الاستعانة بالله تعالى»[١١].

---

(١) من كبار مشايخ الرازيين، جاور الحرم المكي سنين كثيرة، وهو من الورعين القائلين بالحق والطالبين قوتهم من وجه حلال، صحب ابا عمران الكبير، ولقى ابا حفص النيسابوري واصحاب ابي يزيد، وكانوا جميعا يعلون من شأنه، توفى قبل سنة ٣١٠هـ.

(٢) السلمي : المرجع السابق، ص ١٨٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٨٧، ص ١٤٧ على التوالي بالنسبة للطبعتين.

(٤) الرسالة القشيرية، ص ١٨٧ .

(٥) سورة المعارج الآية ١٥ .

(٦) الرسالة القشيرية، ص ١٨٧، ١٤٦ على التوالي بالنسبة للطبعتين.

(٧) احد الزهاد الصوفية، توفي في بغداد سنة ٢٩١هـ ٩٠٤م.

(٨) الرسالة القشيرية، ص ١٨٦، ص ١٤٤ على التوالي بالنسبة للطبعتين.

(٩) هو احد الزهاد الصوفية، توفي في الري سنة ٢٩١هـ ٩٠٤م.

(١٠) المرجع السابق، ذات الصفحتين،

(١١) المرجع السابق، ذات الصفحتين.

المطلب الرابع
ثمار الصبر

للصبر ثمار دينية واخرى شخصية، وفيما يأتي بيان ذلك في فقرتين مستقلتين

الفقرة الاولى
الثمار الدينية

الثمار الدينية متعددة ومتنوعة منها التكريم الذي اسبغه الله تعالى على الصابرين، ومنها صيتهم الديني الذي اشتهروا به، ومنها تقواهم التي اخذت مظهر الصبر والتصبر، وسأتناول كل ذلك في موضعين، اعرض في الاول مزايا الصبر وثواب الصابرين في القرآن الكريم كما حللّها وشرحها واسندها من الكتاب العزيز الامام ابن قيم الجوزية، واعرض في الموضع الثاني مسائل تثبت ان الصبر عدّة المؤمن.

الموضع الاول : مزايا الصبر في القرآن الكريم

يمكن ذكر مزايا الصبر وثواب الصابرين في القرآن الكريم، في اثنين وعشرين نوعا[1]* كما يأتي:

الاول : الامر بالصبر : كقوله : «واصبر وما صبرك الا بالله»[2].

الثاني : النهي عما يضاده: كقوله: «ولا تستعجل لهم[3] ولا تهنوا ولا تحزنوا»[4].

الثالث : تعليق الفلاح به كقوله: : يايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون[5].

الرابع : الاخبار عن مضاعفة اجر الصابرين على غيره: كقوله: «اولئك يؤتون اجرهم مرتين»[6]، «انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب»[7].

الخامس : تعليق الامامة في الذين به يوقنون: كقوله: «وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»[8].

---

(١) ابن القيم المرجع السابق، ص ٧٧ وما بعدها.
(٢) سورة النحل الآية ١٢٧ .
(٣) سورة الاحقاف الآية ٣٥ .
(٤) سورة ال عمران الآية ١٣٩ .
(٥) سورة ال عمران الآية ٢٠٠ .
(٦) سورة القصص الآية ٥٤ .
(٧) سورة الزمر الآية ١٠ .
(٨) سورة السجدة الآية ٢٤ .

السادس : ظفرهم بمعية الله تعالى كقوله: ان الله مع الصابرين(١).

السابع : انه جمع للصابرين ثلاثة امور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم ورحمته لهم وهدايته اياهم. قال تعالى: وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من الله ورحمة واولئك هم المهتدون(٢).

الثامن : انه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدّة وامر بالاستعانة به فقال: واستعينوا بالصبر والصلاة(٣).

التاسع : انه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى، كقوله: «بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين»(٤).

العاشر : انه سبحانه وتعالى جعل الصبر والتقوى جُنّة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك جنة اعظم منهما، قال تعالى: «وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا»(٥).

الحادي عشر : انه سبحانه وتعالى اخبران الملائكة تسلم عليهم في الجنة بصبرهم بقوله: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»(٦).

الثاني عشر : انه سبحانه وتعالى اباح لهم ان يعاقبوا على ما عوقبوا به، ثم اقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد ان صبرهم خير لهم، فقال: : «وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين»(٧).

الثالث عشر : انه سبحانه وتعالى رتّب المغفرة والاجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: «الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير»(٨).

الرابع عشر : انه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الامور، فقال: «ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور»(٩) وقال لقمان لابنه: «وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور»(١٠).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ .
(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٥٣ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٥ .
(٥) سورة ال عمران الآية ١٢٠ .
(٦) سورة الرعد الآيتان ٢٣ - ٢٤ .
(٧) سورة النحل الآية ١٢٦ .
(٨) سورة هود الآية ١١ .
(٩) سورة الشورى الآية ٤٣ .
(١٠) سورة لقمان الآية ١٧ .

الخامس عشر : انه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر فقال: «وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا»(١).

السادس عشر : انه سبحانه علّق محبته بالصبر وجعلها لاهله، فقال: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين»(٢).

السابع عشر : انه سبحانه قال عن خصال الخير انه لا يلقاها الا الصابرون، وان الذين اوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون: «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا، ولا يلقاها الا الصابرون»(٣) وامر الله العبد ان يدفع بالتي هي احسن فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب، ثم قال: «وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم»(٤).

الثامن عشر : انه سبحانه اخبر انما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصّبار الشكور فقال تعالى: «ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»(٥).

التاسع عشر : انه اثنى على عبده ايوب بأحسن الثناء على صبره، فقال: «انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب»(٦).

العشرون : انه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من اهل الحق والصبر فقال: «والعصر ان الانسان لفى خسر، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»(٧).

الحادي والعشرون : انه سبحانه خصّ اهل الميمنة بأنهم اهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم، فقال: «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، اولئك اصحاب الميمنة»(٨).

الثاني والعشرون : انه سبحانه قَرَنَ الصبر بأركان الاسلام ومقامات الايمان كلها:

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٣٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .
(٣) سورة القصص الآية ٨٠ .
(٤) سورة فصلت الآية ٣٥ .
(٥) سورة ابراهيم الآية ٥ .
(٦) سورة ص الآية ٤٤ .
(٧) سورة العصر كلها.
(٨) سورة البلد ١٧، ١٨ .

فقرنه بالصلاة: كقوله: «واستعينوا بالصبر والصلاة»(١).

وقرنه بالاعمال الصالحة عموماً، كقوله: «الا الذين صبروا وعملوا الصالحات»(٢) وجعله قرين التقوى، كقوله: «انه من يتق ويصبر»(٣).

وجعله قرين الشكر، كقوله: «ان في ذلك لايات لكل صبّار شكور»(٤).

وجعله قرين الحق، كقوله: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»(٥).

وجعله قرين الرحمة، كقوله: «وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة»(٦).

وجعله قرين اليقين، كقوله: «لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»(٧).

وجعله قرين الصدق، كقوله: «والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات(٨).

الموضع الثاني : الصبر عدّة المؤمن

١ – الصبر من المنجيات والمقامات: يذهب الامام الغزالي الى ان:

الصبر من منجيات المؤمن : فالصبر من ضمن أربع منجيات للمؤمن(٩).

٢ – الصبر مقام من مقامات الدين، ومنزل من منازل السالكين(١٠) ويذهب بعضهم بصدد سلوك اخوان الصفا(١١) في مجال الاخلاق الى انهم يقتربون من التصوف العملي في بعض المقامات والاحوال كالزهد والتوكل والصبر والاخلاص والايمان(١٢)

وقال بعض العارفين: اهل الصبر على ثلاثة مقامات:

اولها : ترك الشهوة، وهذه درجة التائبين، وثانيها : الرضا بالمقدور، وهذه درجة الزاهدين، وثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصديقين، ويعقب الامام الغزالي ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا، كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر(١٣).

فالصبر من اعظم الاصول التي يعتمدها الزهاد وسالكو طريق الآخرة، وهو باب من ابواب كتب الرقائق(١٤).

٣ – الصبر له نصيب أوفى في القرآن الكريم والحديث الشريف واقوال الصالحين:

---

(١) سورة البقرة اية ٤٥ . (٢) سورة هود الآية ١١ . (٣) سورة يوسف الآية ٩٠ .
(٤) سورة ابراهيم الآية ٥ . (٥) سورة العصر اية ٣ . (٦) سورة البلد اية ١٧ .
(٧) سورة السجدة اية ٢٤ .
(٨) سورة الاحزاب اية ٣٥ .
(٩، ١٠) الغزالي: المرجع السابق، ص ٦٠ وما بعدها.
(١١) اخوان الصفا وخلان الوفاء: جماعة من الاسماعيلية تفلسفوا ودمجوا حركة الاسماعيلية بالسياسة، انظر: جولد تسيهر: مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، ص ٢٠٨ – رسائل اخوان الصفا – ٤ اجزاء – بيروت (د. ت).
(١٢) د. احمد محمود صبحي: الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي، ط ٣ – بيروت: دار النهضة العربية ١٩٩٢ ص ٣٠٤ .
(١٣) الامام النووي (توفى سنة ٦٧٦هـ) تهذيب الاسماء واللغات، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ١٧٢ .
(١٤) الغزالي، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

أ – ذكر الله تعالى : ورد الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً، واضاف اليه اكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، أما الاحاديث، ففي الصحيحين، من حديث ابي سعيد (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم، انه قال:

– ما اعطى احد عطاءً خيراً واوسع من الصبر.

– الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد(١).

ب – ان الصبر ضياء ينير درب المسلم المؤمن نحو التقوى والورع والخشية من الله عز ثناؤه فعن ابي مالك الاشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطهور شطر الايمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ، بين السموات والارض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجّة لك او عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها(٢).

(ج) الصبر خير :

١ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجباً لامر المؤمن، ان امره كله له خير، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن: ان اصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له(٣).

٢ – قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الصبر والشكر بعيرين، ما باليت ايهما ركبت»(٤).

٣ – قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: ان الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد، فإن قُطع الرأس ذهب الجسد، وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان»(٥).

٤ – وقال الحسن البصري : الصبر كنوز الخير، لا يعطيه الله عز وجل الا لعبد كريم عنده(٦).

٥ – الجنة ثمرة الصبر :

أ – مآل صبر المؤمن الجنة

---

(١) ابن الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن – توفى سنة ٥٩٧هـ) مختصر منهاج القاصدين، القاهرة: دار الاسراء: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ص ٥٧٥ وقد اختصر الكتاب، كما جاء في مقدمته الامام نجم الدين ابو العباس احمد بن عز الدين: بن محمد بن قدامة).

(٢) الامام مسلم (توفى سنة ٢٦١هـ) صحيح مسلم (كتاب الطهارة – فضل الوضوء) الجزء الاول، بيروت: دار احياء التراث، ص ٢٠٢ وكذلك النسائي والترمذي واحمد والدارمي وابن ماجة والبيهقي والطبراني.

(٣) النووي ص ٤٥ .

(٤) المبرد : الكامل في اللغة والادب، ص ٢٢٣ – الجاحظ، المرجع السابق ج ٤ ص ١٢٦ .

(٥) الجاحظ البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٨ ويورد هذا القول ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة: «عليكم بالصبر فان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس في الجسد فكما لا خير في جسد لا راس له، فلا خير في ايمان لا صبر معه ص ٢٢٤ .

(٦) ابن الجوزي : مختصر منهاج القاصدين، ص ٥٧٥ .

قال الشاعر :

وجدنا الصابرين لهم جزاء وجنات وعينـــــاً سلسبيلاً

ب – مآل الصبر الشهادة والجنة: حكاية: قال عمرو بن ميمون عن عمار بن ياسر: احرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به، ويمر يده على رأسه ويقول: «يانار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت برداً وسلاماً على ابراهيم» وكان عمار يقول تحت العذاب: يارسول الله، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ، فناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صبراً ابا يقظان، صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة»(١).

ج – الصابر والشاكر في الجنة: حكاية طريفة: دخل عمران بن قحطان يوماً على امرأته وقد تزينت وكان عمران قبيحاً دميماً فقيراً، وكانت امرأته حسناء، فلما نظر اليها ازدادت في عينيه جمالاً وحسناً، فلم يتمالك ان يديم النظر اليها، فقالت له: ما شأنك؟ قال: لقد اصبحت والله جميلة، فقالت: ابشر فإني واياك في الجنة، قال: ومن اين حكمت بذلك؟ قال: لانك أعُطيت مثلي فشكرت، وابتليتُ بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة(٢).

٦ – المؤمن يسلك طريق الصبر

أ – الصبر خير من الانفاق في سبيل الله – قال: ابن الضحاك رضي اله عنه: من مر في السوق، فرأى شيئاً يشتهيه، ولا يقدر عليه، فصبر واحتسب، كان خيراً له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى(٣).

ب – يصبر المؤمن عند جوعه ويشكر عند شبعه :

قال واصل بن عطاء : «المؤمن اذا جاع صبر، واذا شبع شكر»(٤).

ج – الصبر عمل المؤمن :

قال الزاهد سهل بن عبد الله التستري(٥):

---

(١) وردت هذه القصة في السيرة النبوية، واسنادها مفصل، انظر: ابن هشام، ج ١ ص ٢٧٩ وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبابيه وامه، وكانوا اهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة ويعذبونهم في مكة ويمر رسول الله ويقول صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنة.

(٢) ابن الجوزي : الاذكياء، ص ٢٦٩ .

(٣) عفيف الدين، ابو السعادات (عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي الشافعي اليمني المكي ٦٩٨-٧٥٨هـ) روض الرياحين في حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والاولياء والاكابر، تقديم د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، بغداد: دار الانبار، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٢٨ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبين، ج ٣، ص ١٦٩ .

(٥) هو : سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع، أحد ائمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والاخلاص وكان يجوب الامصار، صحب خاله محمد بن سوا، وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه الى الحج في مكة واسند الحديث النبوي، توفى في سنة ٢٨٣هـ .

لا معين الا الله، ولا دليل الا رسول الله، ولا زاد إلاّ التقوى، ولا عمل الا الصبر(١).

د - الصبر للاخيار

قال الشاعر :

بنى الله للاخيار بيتاً سماؤه   هموم واحزان وحيطانه الفقـر
وادخلهم فيه واغلق بابـــه   وقال لهم مفتاح بابكم الصبـــر

هـ - حمد العبد على الصبر

قال الزاهد ابراهيم بن ادهم : ان العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر.. إن ادنى منازل الصبر ان يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الانفس.. فإذا كان محتملاً للمكاره اورث الله قلبه نوراً هو سراج يكون في قلبه، يفرق بين الحق والباطل، والناسخ والمتشابه(٢).

و - الصبر مسلك الصابرين : قال الزاهد بشر بن الحارث الحافي: «الفقراء ثلاثة:

- فقير لا يسأل، وان أعُطى لا يأخذ، فذاك من الروحانيين، اذا سأل الله اعطاه، وان اقسم على الله ابر قسمه.

- وفقير لا يسأل، وان أعُطي قبل، فذاك من اوسط القوم، عقيدته التوكل والسكون الى الله تعالى، وهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس.

- وفقير اعتقد الصبر، ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله، وقلبه الى الله بالسؤال، فكفارة مسألته صدقه في السؤال(٣).

ز - الصبر على طاعة الله افضل من الصبر على عذابه: قيل للاحنف بن قيس:

- انك شيخ ضعيف، وان الصيام يهدّك، فقال:

- انى اعدّه لشر يوم طويل، وان الصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذاب الله(٤).

ح - الصبر يكسبك الاجر الرباني :

قال احد الحكماء : «اعلم ان المصيبة واحدة ان صبرت، وان لم تصبر فهى مصيبتان، ومصيبتك بأجرك اعظم من مصيبتك بميّتك»(٥).

---

(١) السلمي : طبقات الصوفية، ص ٢١١ .
(٢) السلمي : طبقات الصوفية، ص ٣٢ .
(٣) المرجع السابق، ص ٤٧
(٤) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٢ وينسب هذا القول الى ابن صبارة: «انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذاب الله، انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٢٦ .
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢، ص ٧٢ .

ط – الصبر بالنسبة للمسلم يعني الثبات في سبيل نشر الدعوة الاسلامية والثبات عند الاضطهاد من قبل الكفار(١).

ي – المؤمن الذي يترك الصبر يستحق التوبيخ الالهي.

قال عمرو بن عثمان المكي(٢) لقد وبخّ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم، بما اخبرنا عن الكفار انهم قالوا: «امشوا واصبروا على آلهتكم»(٣)، فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه(٤).

ك – الفقير غير الصابر ادنى الى الكفر :

سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

– اي شيء اقرب الى الكفر (قال) :

– ذو فاقة لا صبر له(٥).

الفقرة الثانية
ثمار شخصية

هناك ثمار دانية وعذبة للصبر يتناولها المرء بمجرد تعاطي هذه الطريق، وبعضها يشعر بأنه لا محيص عنها اذا ما رغب ان يعيش الحياة بمنغصات اقل، وسأصنف المواقف التي تدعو المرء لاتخاذ الصبر فلسفة للحياة الشخصية والاجتماعية الى اربعة مواضع تتناول الصبر كمؤدب للمرء، ثم الصبر كنجاة، وكذلك الصبر شدّة لا مفر منها، واخيراً: الصبر لمواجهة اذى الآخرين، وفيما يأتي بيان ذلك.

اولا – الصبر مؤدب

أ – الصبرُ مربٍّ

قال الشاعر :

الدهر ادبنّي والصبر ربأني   والقوت اقنعني واليأس اغناني

وحنكتني من الايام تجربة   حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

---

(١) محمد محمد طه هلالى وزملاؤه: الشريعة القرانية، ط ٣ – طرابلس (ليبيا) ١٩٩٠، ص ١١٩ .

(٢) ينتسب الى الجنيد البغدادي في الصحبة، ولقي ابا عبد الله البناجي، وصحب ابا سعيد الخراز، وروى الحديث الشريف، توفى ببغداد في سنة ٢٩١هـ .

(٣) سورة ص الآية (٦) .

(٤) السلمى : طبقات الصوفية، ص ٢٠٣ .

(٥) ابن ابي الحديد: شرح منهج البلاغة، ص ٣٢٠ .

ب - الصبر : برنامج للتفكير والتروي

يعطي الصبر للصابر فرصة للتفكير الهادىء بما ينبغي ان يعمله في ظل المشكلة او البلاء، كما ان هذا البرنامج النفسي والعقلي - اعني الصبر - يتيح المجال للصابر كي يقدم على التصرف الصحيح واتخاذ القرار الشخصي السليم (او الاسلم): إبتداءً، وتزامناً وانتهاءً، فيكون خطوة رشيدة تتطلب الاستمرار والانتظام والدعم، لانها خطوة صالحة وذات نتائج مضمونة ومأمونة.

ان الصبر يأخذك الى الصراط المستقيم، والمقصد الافضل لانك لم تتسرع في اتخاذ القرار، او التصرف الانفعالي، الذي تفرضه المشكلة او المسألة التي تشغل بالك وتستولي على وجدانك.

إن الصبر عون للنفس البشرية الصابرة على تحمل ما وجدت فيه من مشاق او تكاليف شرعية او رزايا، فالصبر يقمع النفس اولاً عن ارتكاب المعاصي او اقتراف الشهوات الفاسدة او اتيان المحرمات والنواهي، فإذا نجح المؤمن في مسعاه واعتاد سلوكه القويم احتسبها الله له حسنات تمحي سيئاته بإذن الله عز ثناؤه :

ج - افضل عادة سلوكية الصبر على الشدّة :

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : «القناعة سيف لا ينبو، والصبر مطية لا تكبو، وافضل العادة الصبر على الشدّة، جربنا وجَّربَ المجربون، فلم نر شيئاً انصع وجداناً ولا اضر فقداناً من الصبر، تداوى به الامور ولا يداوى هو بغيره»(١).

ثانيا : الصبر نجاة

أ - الصبر تهوين لكل نازلة او بلاء

قال الشاعر :

صبراً على نُوَب الزمـــــــان   وان ابى القلب الجريـــــــــح
فلكل شـــــيء آخـــــــر   إما جميل او قبيـــــــــح

---

(١) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ص ٣١٩ .

وقال الشاعر :

اصبر على القدر المطلوب وارض بـه | وان اتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامــــــرىء عيش يسرّ به | الا ويتبع يوماً صفوه كـدر(١)

وقال العتابي :

اصبر اذا بدهتــــــك نائبـــــة | ما غال منقطع الى الصـــبر
الصبــــر اولـــــى ما اعتصمت به | ولنعم حشو جوانح الصدر(٢)

ب – نتيجة الصبر لذيذة

قال الشاعر :

ومن يتصبَّرْ قد يجـد غب صبره | الذ وأشهى من جنى النحل في الفم

ج – حكاية : روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: ما اصابتني مصيبة الا وجدت فيها ثلاث نعم: الاولى: انها لم تكن في ديني، والثانية: انها لم تكن اعظم مما كانت، والثالثة: ان الله يجازى عليها الجزاء الكبير، ثم تلا قوله تعالى: «اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون»(٣،٤) وجاء في مرجع آخر ان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما من بلاء يصيبني الا وارى فيه اربع نعم

النعمة الاولى : ان البلاء وقع في دنياي ولم يقع في ديني.

النعمة الثانية : ان البلاء لم يقع اكبر مما وقع.

النعمة الثالثة : ان الله تعالى صبّرني عليه فتحملته.

النعمة الرابعة : ان الله تعالى ادخر لي ثواب الصبر عليه.

د – الصبر لمن طلب العلا : قال قطري بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبراً | فما نيل الخلود بمستطاع

وقال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه: «لايعدم الصبور الظفر وان طال الزمان»(٥) وقال اعرابي: الصبر جُنَّة المؤمن، وعزيمة المتوكل، وسبب درك النجح في الحوائج، فمن وطَّنَ نفسه على الصبر لم يجد للأذى حساً، ومن استعف بالله عفه، ومن استعان به يعنه.

---

(١) هذان البيتان مذكوران لدى : المبرد، المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٩ .

(٢) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن الكبير، ج١، بيروت (د.ت) ص ١٩٧ وانظر: الحليمي: كتاب المنهاج، ج ٣، ص ٣٦٧ – البغوي: شرح السنة، ج ٥، ص ٤٤٦ .

(٥) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٤ .

ثالثاً : الصبر شدّة لا مفر منها

الصبر مطلوب في حالات كثيرة ابرزها :

أ – المرض : فمن مرض، استحب له ان يصبر(١) وقال البهوتي: ويسن للمصاب ان يصبر(٢).

ب – وفاة عزيز : فاذا توفي عزيز، فإن حسن التعزية والتصبر(٣) اجمل(٤).

ج – الصبر لفراق الاهل والاحبة

قال الشاعر :

حبذا الصبر شيمة لامرئ رام ... مباراة مولـــع بالمغاني(٥).

د – الصبر انتظاراً لفرج الكرب

قال اعشى همدان :

ان نلتُ لم افرح بشـــيء نلتُـــه ... واذا سُبقت به فـــلا اتلهف

ومتى تصبك من الحوادث نكبة ... فأصبر فكل غيابة تتكشف(٦)

وقال الشاعر :

عسى الكرب الذي امسيت فيه ... يكون وراءه فـــرج قريب(٧)

وقال غيره :

رب ما تكره النفوس من الامر ... له فرج(٨) كحل العقـــال(٩)

وقال الشاعر :

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير ... وكل وقت له امر وتدبير

وللمهيمن في حالاتنـــــا نظر ... وفوق تدبيرنا لله تدبيـــر

وقال غيره :

اذا ما اتاك الدهر يوماً بنكبة ... فافرغ لها صبراً وأوسع لها صدراً

فإن تصاريف الزمان عجيبة ... فيوما ترى يسراً ويوما ترى عسـراً

---

(١) الشيرازي : المهذب مع المجموع، ج ٥، القاهرة: المكتبة العالمية بالفجالة، ص ٩٥ .

(٢) البهوتي (توفى سنة ١٠٥١هـ): كشاف القناع عن متن الامتناع، ج ٢، القاهرة: مطبعة انصار السنة المحمدية، ١٣٦١هـ - ١٩٤٧م، ص ١٤٥ .

(٣) التصبر : حمل النفس على الصبر.

(٤) ابن ابي زيد القيرواني، الرسالة، بيروت، دار الفكر ص ٢٢٣ .

(٥) المغاني: جمع مغنى: المنزل الذي قام به اهله ثم ارتحلوا.

(٦) ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٠ .

(٧) الفرج : الانفراج من الشدة.

(٨) العقال : الحبل.

(٩) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٢ .

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

الصبر مفتاح الظفر، والتوكل على الله رسول الفرج، كما قال: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»(١).

رابعا : الصبر لمواجهة أذى الآخرين

أ - الصبر تجاه الاعداء

قال سبحانه وتعالى : «وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، ان الله بما يعملون محيط»(٢).

وقال الشاعر :

عليك بإظهار التجلد للعـــــدا ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا

اما تنظر الريحان يشمم ناضراً ويطرح في البيدا اذا ما تغيـرا

ب - الصبر لمواجهة السفهاء :

قال الاحنف بن قيس : «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات(٣) ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو اشد منه»(٤).

ج - الصبر لمواجهة الهموم

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : «اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين»(٥).

(١) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة، ٣٢٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٠ .
(٣) الجاحظ : البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٧ .
(٤) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٢ .
(٥) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٤ .

المبحث الثالث
التدرب على الصبر

التدريب على الصبر يكون خارجياً وضمن برنامج يُعد من قبل المدربين في هذا الشأن، اما التدرب فهو نزوع ذاتي للقيام بالعمل، دون الاستعانة بمعونة احد، ان الذين تناولوا هذه المسألة من فقهاء المسلمين استعانوا بالمواعظ والارشادات العامة بيد اننا نجد ان الامام الغزالي قد قدم منهجاً متكاملاً من وجهة نظره في هذا الشأن فيقضي الامر عرضه ثم تقويمه، وبعدئذ يمكن ان اقدم من وجهة نظري المنهج المقترح، وسأتناول ذلك في مطلبين مستقلين.

المطلب الاول
منهج الغزالي

الفقرة الاولى : عرض المنهج

الصبر وان كان شاقاً فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل، ولكن يحتاج كل مرض من امراض القلوب الى علم آخر وعمل آخر، وكما ان اقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة ومثال ذلك: اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه، او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه، او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه، اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات، ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة، فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر، فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة(١).

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور:

احدها : مادتها الاغذية، فلا بد من الاقتصار على طعام قليل وخصوصاً اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة.

الثاني : قطع اسبابها، فالنظر الى مظان الشهوة يحرك القلب وهذا يحرك الشهوة، والعلاج، العزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة.

---

(١) الغزالي : المرجع السابق، ص ٧٥ .

الثالث : تسلية النفس بالمباح من الجنس، وهذا هو العلاج الانفع بها.

واما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين، احدهما: إطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر في الاخبار التي تبين فضل الصبر.

والثاني : ان يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرىء عليها وتقوى همته في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين(١).

الفقرة الثانية - تقويم المنهج

يلاحظ اتصاف المنهج الذي وضعه حجة الاسلام الامام ابو حامد الغزالي بالنزعة الصوفية، اذ انه ليس منهجاً عاماً يقدر على اتباعه كل فرد، وانما من تستطيع تنفيذه مجموعة الزهاد والصوفيين وهم النساك انقياء البشر وصفوتهم.

كما ان هذا المنهج وضعه الامام الغزالي في اواخر حياته العلمية والاجتماعية حيث استقر نهجه الديني والشخصي على السلوك الصوفي النقي الصرف، بيد ان هذا المنهج الخاص بطائفة متخصصة من المؤمنين يقتضي الالتزام بأخلاقيات القناعة في العيش، والعزلة الاجتماعية، والانصراف الى عبادة رب الارباب كلية، وهو امر ليس بمقدور غالبية المؤمنين الذين يأبون العزلة والوحدة، فالحياة الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة هي من التعقيد والتشابك بحيث تأبى القناعة مسلكاً او العزلة نهجاً، فالصبر الصوفي صبر خاص بطائفة محدودة جداً من كبار المؤمنين، انه نهج الصالحين والاولياء، وهو نهج يقتضي الانصراف له بالكلية، الامر الذي يتطلب هجر العمل، وترك المجتمع والاسرة والابناء، والانصراف للشؤون الأخروية بكل الحواس والجوارح. واسارع الى القول: ان منهج الغزالي ليس خاطئاً او سلبياً او مرفوضاً وانما هو منهج خاص بخصوصية الصوفيين، بينما معظم المؤمنين غير قادرين عليه لانه منهج سهل على الخاصة، وصعب على العامة، فالصوفيون منصرفون بالكلية لله تعالى، ومن ثم يجدون لذة روحية كبرى في هذا المسلك الطاهر، اما عامة المؤمنين فإن شؤون الدنيا مازالت تستغرقهم سواء على شكل التزامات عائلية واسرية، او واجبات اجتماعية وسياسية، او اهتمامات مالية متعلقة بتنمية مصادر الدخل الفردي بعد ان اصبح الاحساس بضرورة القناعة متدنياً جداً، والانسان اصبح الان رهن اوضاع اقتصادية ومالية تستلزم على صاحب الاسرة الاستجابة لحاجات افراد اسرته غير المتوقعة وغير المحددة وغير الثابتة، والحياة الراهنة غير قائمة على اخلاقيات القناعة وانما تقوم على الطموح الذي لا يتوقف عند حد او رغبة في التفتيش الدائم على مصادر جديدة ومتجددة للدخل الفردي والاسري، والمجتمع الراهن مجتمع استهلاكي، ومن ثم فإن الصبر في هذا المجتمع ليس امرا هيناً او مسلكاً متاحاً للجميع.

---

(١) الغزالي : المرجع السابق، ص ٧٦ وما بعدها.

المطلب الثاني
المنهج المقترح

١ – ضرورة وجود رغبة وارادة واعتياد مستمر:

الصبر صعب ولكنه ليس مستحيلاً، فلا يعجز المرء الجاد والصادق عن بلوغه وتعويد نفسه على الاخذ بأسبابه، وكل فضيلة جديدة تحتاج الى تصميم (نية) وارادة قوية لبلوغ مراميها وقد يتعثر المرء الراغب في بداية الامر الا ان هذا التعثر يتعين الا يغرس في نفسه فتوراً او يضعف من همته وانما النفس تعتاد على ما كانت عليه وهي تنفر من المسلك الجديد لانه يبدو وكأنه مخالف لطبائعها، بيد ان الارادة القوية كفيلة بمواصلة السير على المنوال الجديد، ومتابعة العمل بكل عزم وجد، وحينئذ تظهر تباشير الفوز تدريجياً وببطء، فاذا انقضى وقت مناسب يشعر الصابر بعدئذ بحلاوة الصبر ولذائذه، فلا يقرر الله عز وجل ثناؤه امرأً الا وكان فيه الثمار الدانية واللذة الروحية.

٢ – من الضرورة التعرف على آداب الصبر :

أ – وجوب استعمال الصبر في اول صدمة لقوله عليه السلام :

انما الصبر عند الصدقة الاولى(١).

ب – وجوب الاسترجاع عند المصيبة لحديث ام سلمة (رضي الله عنها) وهي من رواية مسلم.

ج – وجوب سكون الجوارح واللسان، فأما البكاء فجائز، ومن حسن الصبر الا يظهر اثر المصيبة على المصاب.

٣ – اغذية عزيمة الصبر

وكما يقال : فان (الايمان المطلق بالقدر ، اقوى مانع للصدمات).

فنحن نتعرض لصدمات او نكبات لاحول لنا عليها ولا قوة كزلزال ازال بيتنا وامات اولادنا، او كوباء اخذ من احضاننا الاحبة وقرات اعيننا، فالانسان لن يستطيع البكاء او التباكي او الحزن او التحازن الى مالا نهاية ،وما الانسان الا المخلوق الحي الوحيد الذي يعي الصدمات ويستوعبها ويمتصها ويتخطاها وينساها، ويواصل المسير مجدداً في الحياة بعدها وكأنها ذكرى اليمة، الا ان الزمن كفيل بتبديد هذا الالم

(١) حديث صحيح، متفق عليه، موجود في الصحيحين.

تدريجياً، ما لم يكن الانسان مريضاً نفسياً فيحلو له استغراق بقية عمره فيما لا طائل من ورائه، فنحن غير قادرين على استرجاع احبتنا الذين ماتوا، وهذا هو قانون الحياة منذ الازل الى الابد.

٤ – الصبر على الاعمال يخففها

قال ابن المقفع : اذا تراكمت عليك الاعمال فلا تلتمس الرَّوْح (الاستراحة) في مدافعتها (تمهيلها الى يوم بعد يوم) بالزوغان (الانحراف) منها، فانه لاراحة لك الا في اصدارها (انجازها والفراغ منها) وان الصبر عليها هو الذي يخففها عنك، والضجر هو الذي يراكمها عليك.

فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رايتها تعتري بعض اصحاب الاعمال، وذلك ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر، او يأتيه شاغل من الناس يكره اتيانه، فيكدر ذلك بنفسه تكديراً يفسد ما كان فيه، وما ورد عليه، حتى لا يحكم واحداً منهما، فاذا ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك وعقلك اللذان بهما تختار الامور، ثم اختر أولى الامرين بشغلك، فاشتغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر.

اذا اعملت الرأي معمله، وجعلت شغلك في حقه، اجعل لنفسك في كل شغل غاية ترجو القوة والتمام عليها(١).

٥ – مستلزمات الصبر :

يذهب الفقيه الابي الازهري الى ان من مستلزمات الصبر: الايمان بحكمه، والتعزية وهي تقوية النفس على الصبر على ما نزل بها(٢).

٦ – الصوم من ابرز المقومات التي تعين على الصبر:

يذهب الشيخ جلال الحنفي الى ان نسبة الشقاء الى السعادة في تركيب الحياة، نسبة عالية جداً في واقع حياة الكثرة الكاثرة من البشر فاذا لم تكن تلقاء ذلك همم صامدة وعزائم كبار كانت الحياة نفسها عبئاً ثقيلاً من الاعباء الثقال، والذين يوفقون لاحراز المغانم الكبرى في الحياة فبفضل الصبر على ابر النحل، ذلك الصبر الذي هو قارب النجاة في جميع الملمات. اما الذين يسخطون على الحياة من اجل انها لا تستجيب لطلباتهم العادلة فإنهم يجهلون ان اقتراع الحياة لايتيسر الا لذوي العزم

---

(١) ابن المقفع، الادب الصغير والادب الكبير. ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢) الابي الازهري: الثمر الداني، شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني، بيروت: دار الفكر، ص ٢٢٣ .

والصبر ومستديم القراع، ان الصوم ليعتبر من اهم العوامل المساعدة على تزكية الصبر في النفوس التي يهددها الجزع والتخاذل والانهيار(١).

ويقوي الصوم عزيمة المؤمن وقدرته على التحمل والصبر، ويعدّه لمواجهة الصعاب والمشاق والشدائد التي قد تعترضه في حياته بروح ايجابية وهمة عالية(٢).

٧ - بعض الناس اشرار ومن الحكمة الصبر على اذاهم :

حكاية : سأل الامام الشافعي، الصوفي الكبير حاتم الاصم:

- اخبرني، كيف اسلم من الناس؟ فأجابه :

- هذا بثلاثة اشياء : تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم، وتقضي حوائجهم ولا تطالبهم بقضاء حوائجك، وتصبر على اذاهم ولا تؤذيهم.

فقال الامام الشافعي : انها لصعبة يا ابن الاصم؟

فأجابه هذا : وياليتك مع هذا تسلم.

ان هذه الحكاية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك، ان ارضاء الناس غاية لا تدرك، وان ثمة اشراراً لا يعرفون من السلوك الا الشر، واذا كان الخيّر يلتذ بخيره فالشرير يستعذب بشره وهذه هي الحياة بوجهيها المضيء والمظلم.

٨ - جوهر التدرب على الصبر

آلية المنهج المقترح تتمثل في الايحاء الذاتي اما الجهد المطلوب فهو التربية الذاتية، فالصبر مسلك تجاه نائبة من نوائب الدهر او بلية من بلايا القضاء او القدر، فثمة خسارة مادية او معنوية او بشرية، والموقف المتوقع ازاءها يتمثل في الجزع المتولد جراء طرح احتمال مثل هذه المشكلة او المأساة او المصيبة وفيما يلي بيان ذلك:

اولا - المنهج المقترح قائم على اسلوب التربية الذاتية، اي ان الانسان هو الذي يصنع صبره بجهده وهو لا يتوقع ان ينزل عليه الصبر كما ينزل المطر من السماء وانما يقتنع ان الصبر هو المسلك الصائب والنهج السليم، كيف ذلك؟

ثانيا - الايحاء الذاتي : هذا الاسلوب يعني ان يحاور الانسان نفسه، فثمة نقاش بين الطرفين، وهو لا بد ان يدفع نفسه للايمان بان الصبر خير نهج في هذه الحياة ازاء مصائب ومصاعب نحن غير قادرين بالمرة على ردها وليس بوسعنا ان ننتصر عليها لاول وهلة، وليس من الحكمة ان نطرحها جانباً وكأنها مشكلات غير قائمة او مسائل غير

---

(١)من مقال بعنوان الصوم والصبر، نشر في صحيفة عراقية سنة ١٩٩٢م

(٢) د. عبد الحميد الصيد الزنتاني: التربية الاسلامية في السنة النبوية، ط٢ ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣ ص ٣٩٢ .

مؤرقة، فالانسان الذي يصنع نفسه يصنع سلاماً معها ويجعلها تمد جسور السلام مع العالم الخارجي فنحن ازاء معادلة ذات طرفين، احدهما ايجابي هو الصبر والثاني سلبي هو الجزع وبما ان الاخير يمس ايمان الانسان وسمعته الدينية، اضافة الى تشويه سمعته الاجتماعية وخلق اهتزاز في شخصيته، فالجزع من سمات الاطفال والفتيان والنساء، ويحرص الرجل الا يتخلق باخلاقيات تتنافى مع الرجولة كموقف يتضمن الشجاعة والكرم والمروءة، فالصبر في حقيقته وجوهره واهدافه انما هو حلم ووقار ورزانة وشجاعة على الملمات وعوادي الزمن ومصائب الدنيا، ولو لم ينتهج المرء صبراً فانه لا يقدر على زحزحة قدر واقع ومصيبة مداهمة، فاذا توفيّ لنا انسان عزيز فالجزع غير قادر على اعادة الحياة اليه والموقف العقلاني يتمثل في صبر لا بد منه طالما كانت الشدّة لا مجال لردها او تذليلها او تغييرها، فالصبر هنا حيلة يحتال بها الصابر، لانه لا يملك شيئاً غيرها، فاذا اقنع نفسه بضرورة هذا الحيلة وعقلانيتها، فقد ربىّ ذاته التربية السليمة، ذلك ان الجزع يذهب بقدر الانسان وهيبته وايمانه، والعاقل لا يجازف بهذه او يتنازل عنها، فالمصيبة طالما وقعت فلا موقف ازاءها الا الرضا والقبول والاقتناع الذاتي والاستسلام لمشيئة الله تعالى، ومن الاهمية ان يؤمن الانسان المعاصر بأن التديّن مسلك ضروري جداً، اذ يمده بأسباب الصبر، فالصلاة مثلاً بمثابة غربال لتنقية نفس الانسان المشحونة بالشوائب، فتنشيء – اي الصلاة – لدى المصلي قناعة بقضاء الله وارادته.

ومن الاهمية بمكان ان يراقب المرء مسلكه مراقبة دقيقة فاذا نابته نائبة ولم يستطع عليهاصبراً، فان الضرورة الواجبة الاتباع في هذه الحالة مساءلة ذاته ومحاسبتها بشدّة، ومن اللازم الا يطلق نفسه وفق شهواتها او نزواتها، وانما يضعها تحت محاسبة صارمة كي لاتتعلم اعتياد المروق او الجنوح او ارتياد النزوات وتدشين الشهوات واتباع الغرائز الحيوانية، وينبغي افهام النفس ان الصبر: لجامها تجاه الجموح.

ولا بد من اخضاع النفس لقدر كبير من الضبط والربط فاذا عصت الصبر او استصعبته فمعنى ذلك انها نفس انسان غير مؤمن ديناً ونفس غير عقلانية فلسفةً وينبغى على الانسان الذي لديه اهداف عامة: سياسية او دينية او اجتماعية عريضة ان يعتاد الصبر ازاء اية حالة تقوده الى الجزع، فالصبر نهج النفوس الكبيرة اما الجزع فهو نهج النفوس الصغيرة، فاذا ادرك المرء الفارق بين هذين النوعين من النفوس فليس صعباً عليه ان يقتنع ان تساميه في الحياة والمجتمع يتطلب بالنسبة لهذه المسألة ان يكون في عداد الصابرين.

الفصل الثاني
رذيلة الجزع

اولاً - مدلولات الجزع
أ - المدلولات اللغوية
ب - المدلولات المصطلحية
ج - تمييز الجزع عن المدلولات المقاربة
ثانيًا - ما هية الجزع
أ - علامات الجزع
ب - الجزع تجاه فقدان الابن او الزوجة
ج - الجزع الذاتي تجاه الموت
د - عوامل تنمية الجزع.
هـ - قواعد تدلل على بطلان الجزع
ثالثاً - نتائج الجزع
أ - نتائج تمس السمعة الاجتماعية
ب - نتائج تمس الايمان الديني

يقتضى تحليل الجزع تحليلاً شكلياً وموضوعياً، بيان مدلولاته اللغوية والمصطلحية، وتمييزه عن المدلولات المقاربة كي نفهم طبيعته على نحو ادق، ثم تحليل صوره ومظاهره بشكل عام، وبيان حالاته عند فقدان الابن او الزوجة، والجزع الذاتى عند حضور الموت بشكل خاص، ومن الاهمية العلمية بيان العوامل التي تفضي الى ظهوره وتغذيته، يضاف الى ما تقدم، ان تحديد القواعد التي تدلل على بطلانه تسهم في التدرب على التمكن منه والسيطرة عليه. واخيراً، وليس آخراً، من الضرورة الافصاح عن نتائجه التي تمس السمعة الاجتماعية من جهة وتمس الايمان الديني من جهة ثانية وسيتم تناول كل ذلك في ثلاثة مباحث مستقلة.

المبحث الاول
مدلولات الجزع

هناك مدلولات للجزع مشتقة من طبيعة اللغة العربية، وثمة مدلولات تنصرف الى معناه المصطلحي، وفيما يأتي بيان ذلك بتفصيل مناسب.

المطلب الاول
المدلولات اللغوية

جاء في المعاجم اللغوية ازاء كلمة جَزَع،وجَزَعُ، وَجَزِعُ، جَزِعَ يجزعُ، جَزَعاً، جَزِعُ:

١ - جَزِعَ لم يصبر على مانزل به.

٢ - جَزَعَ عليه : اشفق وحزن.

يجْزَع، يتجزَّع، تَجَزُّعا :

١ - تَجَزَّعَ الشيءُ : تقطع

٢ - تجزع القوم الشيء : تقسموه

جَزَعُ : ما يحس به المرء من القلق والاضطراب وضيق الصدر او عدم الصبر.

جَزِعُ : الجمع : جَزِعون - المؤنث: جَزِعة - الجمع: جَزِعات، المضطرب غير الصابر.

جُزْعٌ : الجمع اجزاع : محور العجلة او الدولاب.

جَزُوعُ : كثير الجَزَع .

مُجَزَّعُ :

١ - كل ما اجتمع فيه سواد وبياض.

٢ – المُجَزَّعُ من اللحم : ما كان به بياض وحمرة.

وفي المثل : «من جزع اليوم من الشر، ظلم» يضرب عند صلاح الامر، أجْزَعَهُ : حمله على الجزع(١).

المطلب الثاني
المدلولات المصطلحية

الجزع نقيض الصبر(٢) ويمثل مشاعر الانسان بشكل عام اذا مسه الشر(٣) قال اوس بن حجر الاسدي، يرثي فضالة بن كلدة :

ايتها النفس اجملي جَزَعاً   ان الذي تحذرين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والنجابة   والحزم والقوس قد جمعا(٤)

حكاية : ولد لبعض امراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول المجنون فقال:

– ما هذا الحزن؟ اجزعت بخلق سوي وهبه رب العالمين، ايسرك ان كان لك ابناء مثلي؟ فَسُرِّي عنه(٥).

والصبر والجزع ضدان، ولهذا يقابل احدهما بالآخر، قال تعالى عن اهل النار: «سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص»(٦).

والجزع قرين العجز وشقيقه، والصبر قرين الكيِّس(٧) ومادته، فلو سئل الجزع من ابوك؟ لقال: العجز، ولو سئل الكيِّس من ابوك؟ لقال: الصبر(٨).

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ط ٢، ج ١، القاهرة، ١٩٧٢ ص ١٠٣ .

(٢) الطاهر احمد الرازي: مختار القاموس، ص ١٠٤ .

(٣) قال تعالى عن الانسان: (اذا مسه الشر جزوعا) سورة المعارج الآية ٢٠ – ٢١ .

(٤) ابن رشيق القيرواني : كتاب العمدة، بيروت، ص ٢٤٢ .

(٥) ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي محمد – توفى ٥٩٧هـ) الاذكياء، تحقيق: بشر عبد الرحمن ذيب الحلو، بيروت، دار احياء العلوم ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ص ٢٦٣ .

(٦) سورة ابراهيم الآية ٢١ .

(٧) الكيس : العقل والفطنة.

(٨) ابن قيم الجوزية (محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي: ٦٩١ – ٧٥١هـ): عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق ابو سهل: نجاح عوض صيام – المنصورة بمصر: مكتبة الايمان ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، ص ١٩ (سنشير لهذا المرجع بابن القيم فقط).

المطلب الثالث
تمييز الجزع عن المدلولات المقاربة

يفيدنا تمييز الجزع عن غيره من المدلولات المقاربة، التعمق في مدلوله المصطلحي من جهة ومعرفة المصطلحات الاخرى التي تمثل المعنى المصطلحي ذاته، او المعاني الاخرى المغايرة من جهة اخرى، وثمة مصطلحات هي: «الروع» «والفزع» «والهلع» «والحزن» تقتضي الضرورة العلمية المرور على مدلولاتها اللغوية والمصطلحية لغرض تحديد معانيها بدقة ومن ثم تمييزها عن الجزع او بيان مدى قرابتها المصطلحية منه.

اولا - الروع :

قال ابن قتيبة ان الروع هو الفزع(١).

وجاء في المعجم العربي الميسر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

راعَ، يروع، روعاً، رائع، مريع، راعه : ١ - افزعه، ٢ - اعجبه، مثل راعه جمالها.

روَّع، يروع، ترويعا، روَّعه: افزعه.

ارتاع، يرتاع، ارتياعاً، مرتاع: فزع، رائع: ما جاوز الحد في نواحي الفن والاخلاق والفكر (منظر رائع)، رائعة: جمع روائع: ١ - مؤنث رائع، ٢ - ما جاوز الحد جمالاً في نواحي الفن والاخلاق والفكر (من روائع الفن)، ٣ - رائعة النهار: معظمه.

رَوْعُ : قلب ونفس (وقع في روعي كذا)(٢).

وجاء في القاموس :

روْع: الروع والارتياع: الفزع، والروعة المسحة من الجمال، وراع وروَّع: افزع والرُّوع (بالضم): القلب (او موضع الفزع منه، الرُّوع: العقل، ومنه الحديث : «أفرغ روعك، من ادرك افاضَتنا هذه فقد ادرك» يعنى: الحج، اي: أخرج الفزع من قلبك. والأروع ُوالرائعُ: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره او شجاعته (الجمع: ارواع) ورُوع (بالضم) والمروع: من يلهم الصواب(٣).

ثانيا - الهلع :

جاء في معجم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

هَلِعَ، يَهْلعُ، هلعا، هَلِعَ: هَلعاًخاف خوفاً شديداً، هلوع: شديد الخوف والجزع دون

---

(١) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى: ٢١٣ - ٢٧٦هـ) : ادب الكاتب، تحقيق محمد الوالي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٩٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٣٢٥ .

(٢) اعداد: الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٢١٥ .

(٣)الطاهر احمد الزاوي: مختار القاموس، ص ٢٦٦ .

صبر(١). والهلع: افحش الجزع، والهلوع: من يجزع ويفزع من الشر ويحرص ويشح على المال(٢) وقال الله تعالى: «ان الانسان خلق هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً»(٣) ويعقب ابو العباس المبرد بأن: الهلع من الجبن عند ملاقاة الاقران، ويقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا على شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق»(٤).

ومما ينسب الى الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:

لا تجزعن اذا نابتك نائبة   واصبر ففي الصبر عند الضيق متسع

ان الكريم اذا نابته نائبة   لم يبد منه على علاته الهلع(٥)

قال ابن قيم الجوزية : الهلع هو الجزع عند ورود المصيبة والهلع عند ذهابها(٦).

وقال الجوهري : الهلع افحش الجزع(٧).

وفي الحديث الشريف : شرما في العبد شح هالع وجبن خالع(٨).

ويفسر ذلك ابن القيم : هنا امران لفظي ومعنوي، فأما الامر اللفظي: فانه وصف الشح بكونه هالعاً، والهالع صاحبه واكثر ما يسمى هلوعاً، ولا يقال هالع له فانه لا يتعدى، ففيه وجهان: احدهما : ان على النسب كقولهم: ليل نائم وسر كاتم ونهار صائم ونوم عاصف كله عند سيبويه على النسب، والثاني: ان اللفظة غيرت عن بابها للازدواج مع خالع وله نظير.

واما المعنوي، فان الشح والجبن صفتان في العبد، ولاسيما اذا كان شحه هالعاً اي ملقياً له في الهلع. وجبنه خالعاً، اي قد خلع قلبه من مكانه، فلا سماحة ولا شجاعة ولا نفع بماله ولا ببدنه، كما يقال: لا طعنة ولا جعنة، ولا يطرد ولا يشرد بل قد قمعه وصغره ودساه الشح والخوف والطمع والفزع، واذا اردت معرفة الهلوع فهو الذي اذا اصابه الجوع مثلاً اظهر الاستجاعة واسرع بها، واذا اصابه الالم اسرع الشكاية واظهرها، واذا اصابه القهر اظهر الاستكانة وباء بها سريعاً واذا اصابه الجوع اسرع الانطراح على جنبه واظهر الشكاية، واذا بدا له مأخذ طمع طار اليه سريعاً، واذا ظفر به اصله من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا افضال، وهذا كله من صغر النفس ودناءتها وتدسيسها في البدن واخفائها وتحقيرها(٩).

(١) اعداد لخليل النحوى : المعجم العربي الميسر، ص ٥٢٥ .
(٢) الزاوي : المرجع السابق، ص ٦٣٧ .
(٣) سورة المعارج الآيات ١٩ – ٢١ .
(٤) المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الله ٢١٠ – ٢٨٥هـ) الكامل في اللغة والادب – ج ٢، ص ١٣١ .
(٥) الجاحظ (عمرو بن بحر: ١٥٠–٢٥٥هـ) البيان والتبيين، ج٣، ص ١١٦ .
(٦) ابن القيم: المرجع السابق، ٢٧٩ .
(٧) مذكور في المرجع السابق في الموضع ذاته.
(٨) سنن ابو داود: ٢٥١١ – مسند احمد ٢: ٣٣٠ .
(٩) ابن القيم : المرجع السابق، ص ٢٦٩ وما بعدها.

حكاية: بينما كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع سليمان بن عبد الملك، في سفر، اذ برقت السماء ورعدت رعداً شديداً، ففزع سليمان ونظر الى عمر فاذا هو يضحك، فقال له: - يا عمر، ما اضحكك وانت تسمع ما تسمع فقال عمر:

- يا امير المؤمنين، هذه رحمة الله قد افزعتك، كيف لو جاءك عذابه؟

ثالثا - الفزع :

جاء في المعجم العربي الميسر :

فَزِعَ: الفزع: الذُّعرُ والفَرَقُ (الجمع: افزاع)، والفزَعُ: الاغاثة والاستغاثة، وفَزِعَ من نومه: هب، والمفْزَعُ: الملجأ، وافزعه وفَزَّعه: اخافه، وفَزَّعَ عنه تفزيعا: كشف عنه الخوف(1).

وفَزِعَ، يفْزَع، فَزعًا، فَزعٌ :

١ - خاف او ذعر ، ٢ . فَزِعَ اليه: لجأ، ٣ - فَزِعَ من نومه: انتبه، فَزَّعَ يُفَزِّع، تفزيعاً، فزَّعَه اخافه او روّعه، فُزِعَ، يَفزعَ، فُزِعُ، فُزِّعَ عنه: كُشف الفَزَع عنه. افزع، يفزع افزاعاً: افزعه: اخافه او روعه، مفزع: الملجأ عند النكبات(2).

والفَزَعُ مسلكُ الكافرين يوم القيامة، بينما المؤمنون غير فزعين، قال عز وجل:

- لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون»(3).

- «ويوم ينفخ في الصور ففزع من السموات ومن في الارض الا من شاء الله، وكل أتوه داخرين»(4).

- «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون»(5).

رابعا - الحزن :

هل تتوافر علاقة عضوية بين الجزع والحزن؟ لنلق - معاً - نظرة عجلى على الفصل الذي كتبه الثعالبي في شأن تفصيل اوصاف الحزن:

«الكمد : حزن لا يستطاع امضاؤه».

البث : اشد الحزن (قال يعقوب عليه السلام : إنما اشكو بثي وحزني الى الله)(6).

الكرب : الغم الذي يأخذ بالنفس.

السدم : همّ في ندم.

---

(١) اعداد : الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٣٧٦ .
(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٧ .
(٣) سورة الانبياء الآية ١٠٣ .
(٤) سورة النمل الآية ٨٧ .
(٥) سورة النمل الآية ٨٩ .
(٦) يوسف الآية ٨٦ .

الاسى واللهف : حزن على الشيء يفوت.
الوجوم : حزن يسكت صاحبه.
الاسف : حزن مع غضب، ومنه قوله تعالى: «ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً» (الاعراف : ١٥٠).
الكآبة : سوء الحال والانكسار مع الحزن.
الترح : ضد الفرح(١).

المبحث الثاني
ماهية الجزع

مازال الجزع كمصطلح نفسي واجتماعي بحاجة علمية ومنهجية للتحليل المعمق، لذلك سأتناول صوره ومظاهره من جهة، وبيان حالة الانسان عند فقدان الابن او الزوجة من جهة ثانية، كما اتعرض الى الجزع الذاتي عند قدوم الموت كمصير لا مفر منه للكائن الحي من جهة ثالثة واعرض للعوامل التي تفضي الى تنمية الجزع من جهة رابعة واخيراً ابتدع القواعد التي تدل على بطلان هذا المسلك الذي يستهجنه الدين والمجتمع معاً، وسأعالج كل ذلك في خمسة مطالب مستقلة.

المطلب الاول
علامات الجزع

يتخذ الجزع الصور والمظاهر الاتية :

١ - الشكوى الى المخلوق :

فاذا شكى العبد ربه الى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه الى من لا يرحمه.

٢ - اما الانين فهو يقدح في الصبر :

فالانين شكوى بلسان الحال ينافي الصبر، وكان «طاووس» يكره الانين في المرض فما سمع له انين حتى مات، والتحقيق ان الانين على قسمين:
انين شكوى فيكره، انين استراحة وتفريج فلا يكره، وقال«شقيق البلخي» من شكى من مصيبة نزلت به الى غير الله لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله ابداً.

---

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد ٣٥٠-٤٢٩هـ) فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ١٩٠ .

٣ – الايذاء الذاتي :

كشق الثياب عند المصيبة، ولطم الوجه، والضرب بإحدى اليدين على الاخرى، وحلق الشعر، والدعاء بالويل، والتقنيع اي الجلوس في البيت بعد المصيبة وعدم مغادرته للعمل.

٤ – القول السيء والظن السيء :

وقال عبيد بن عمير، «ليس الجزع ان تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع: «القول السيء والظن السيء».

٥ – ترك شيء مما كان يصنع :

حكاية : مات ابن لبعض قضاة البصرة فاجتمع العلماء والفقهاء، وتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا انه اذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع.

٦ – اظهار المصيبة والتحدث بها :

ومما يقدح في الصبر: اظهار المصيبة والتحدث بها، فكتمانها رأس الصبر، وقال الحسن بن الصباح في مسنده. قال ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من البر كتمان المصائب والامراض والصدقة».

حكـــــايات :

أ – لما نزل في احدى عيني (عطاء) الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به اهله، حتى جاء ابنه يوماً من قبل عينه، فعلم ان الشيخ قد اصيب.

ب – ودخل رجل على (داود الطائي) في فراشه فرآه يرجف، فقال:

– انا لله وانا اليه راجعون. فقال:

– مه، لا تعلم بهذا أحداً، وقد قعد قبل ذلك اربعة اشهر لا يعلم بذلك احد.

جـ – وقال مغيرة: شكى الاحنف الى عمه وجع ضرسه، فكرر ذلك عليه، فقال:

– ما تكرر عليّ، لقد ذهبت عينى منذ اربعين سنة فما شكوتها الى احد(١).

٧ – الاستكانة :

حكاية : قال خالد بن ابي عثمان القريشي، كان سعيد بن جبير، يعزينى في ابني، فرآني اطوف في البيت متقنعاً، فكشف عن رأسي، وقال:

– الاستكانة من الجزع(٢).

---

(١) ابن القيم: المرجع السابق، ص ٢٧٦-٢٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٥ .

المطلب الثاني
الجزع تجاه فقدان الابن او الزوجة

انتقيت من كتب التراث الادبي العربي الاسلامي تسع حكايات، تبين حالة الأب المجزوع او الام المجزوعة عند فقدان ولدها، كما سأختم هذا المطلب بحكاية عن رجل فقد زوجته.

اولاً – الجزع تجاه فقدان الابن

الحكاية الاولى :

قال عبد الله بن محمد بن اسماعيل التميمي، ان رجلاً عزّى رجلاً في ابنه فقال:

– انما يستوجب على الله وعده من صبر له بحقه، فلا تجمع الى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر، فانها أعظم المصيبتين عليك وأنكى[١] الرزيتين لك والسلام[٢].

الحكاية الثانية :

– وعزّى ابن ابي السماك، رجلاً، فقال:

– عليك بالصبر، فيه يعمل من احتسب، واليه يصبر من جزع[٣].

الحكاية الثالثة :

واصيب مطرف بن عبد الله في ابن له، فأتاه قوم يعزونه، فخرج اليهم أحسن ما كان بشراً، ثم قال:

– انى لأستحيي من الله أن اتضعضع لمصيبة[٤].

الحكاية الرابعة :

قال ابن ابي الدنيا، حدثني الحسين بن عبد العزيز الحروزي فقال: مات ابن لي نفيس، فقلت لأمه:

– اتق الله واحتسبيه واصبري، فقالت:

– مصيبتي اعظم من أن أفسدها بالجزع[٥].

الحكاية الخامسة :

قال الاصمعي: مات ابن لاعرابية، فما زالت تبكي حتى ضرَّر الدمع خدها، ثم استرجعت، فقالت:

– «اللهم انك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن اجل ذلك حضضته على طاعتهما .

---

(١) انكى العدو: أوقع به، وهزمه وغلبه، وانكى الرزيتين: أى اشد الرزيتين عليك.

(٢) ابن القيم: المرجع السابق، ص ١٠٥ .

(٣،٤،٥) ابن القيم: المرجع السابق، ص ١٠٥ .

اللهم، ان ولدي كان باراً بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما فأجزه بذلك صلاة ورحمة، ولقه سروراً ونظرة.

فقال لها اعرابي :

– نعم ما دعوت له، لولا انك شببته من الجزع بما لا يجدي، فقالت:

– اذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاعة صرفه ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضله، فقد قال عز وجل: «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم»(٢،١).

الحكاية السادسة :

ذكر المدائني، ان رجلاً عزّى رجلاً افرط عليه الجزع على ابنه، فقال:

– يا هذا، سررت به، وهو حزن وفتنة، وجزعت عليه، وهو صلاة ورحمة.. فسُرِّي عنه(٣).

الحكاية السابعة :

وقال الفرزدق مخاطباً زوجه ويرثى ابنه بقصيدة جاء في خواتيمها:

وقد رزيء الأقوام قبلي بنيهـــم	واخوانهم فاقْنَيْ حياء الكرائـم
ومات أبي والمنذران كلاهمـــا	وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم
وقد مات خيراهم فلم يهلكاهـــم	عشية بانا رهط كعب وحاتـم
فما ابنك إلا من بني الناس فاصبري	فلن يرجع الموتى حنين المآتم

الحكاية الثامنة :

قال ابو ذؤيب الهذلي، وكان له اولاد سبعة فماتوا كلهم الا طفلاً، فقال يرثيهم:

أمن المنون وريبـه تتوجـــع	والدهر ليس بمعتب(٤) من يجزع
قالت أميمة مالجسمك شـاحباً	منذ ابتذلت(٥) ومثل مالك ينفـع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً	الا أقضّ عليك ذاك المضجـــع

وقال في الطفل الذي بقي له :

والنفس راغبة اذا رغبتهـــا	واذا ترد الى قليـل تقنـــع

وقال الاصمعي : هذا ابدع بيت قالته العرب(٦).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٣ .
(٢) ابن الجوزي: الاذكياء، ص ٢٦٩ .
(٣) المبرد: الكامل في اللغة والادب، ج٢، ص ٣٦٣ .
(٤) معتب : راجع عما تكره الى ما تحب.
(٥) ابتذلت: امتهنت نفسك في الاعمال.
(٦) ابن عبد ربه (احمد بن محمد: ٢٤٦–٣٢٧): كتاب الدرة في النوادب والتعازي والمراثي، بيروت، ص ٢٠٢ .

الحكاية التاسعة :

مات ذر بن ابي ذر الهمذاني، فوقف ابوه على قبره، فقال:

«ياذر، والله ما بنا اليك من خافة، وما بنا الى احد سوى الله حاجة.

ياذر، شغلني الحزن لك عن الحزن عليك» ثم قال:

- «اللهم انك وعدتني بالصبر على ذر، صلواتك ورحمتك، اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من اجر على ذر لذر، فلا تعرفه قبيحاً من عمله، اللهم، وقد وهبت له اساءته الي، فهب لي اساءته الى نفسه، فانك اجود واكرم».

فلما انصرف، التفت الى قبره وقال:

«ياذر، قد انصرفنا وتركناك، ولو اقمنا ما نفعناك»(١).

ثانياً - الجزع تجاه فقدان الزوجة

حكاية : جزع بكر بن ابي عبد الله، على امرأته، فوعظه (الحسن البصري) فجعل بكر يعدد فضائلها، فقال الحسن: عند الله خير منها، فتزوج اختها، فلقيه بعد ذلك، فقال للحسن: ياابا سعيد، هي خير منها، وانشد:

يؤمل ان يعمر عمر نوح   وامر الله يحدث كل ليلة(٢).

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين، ج٣، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ٨٩ .

المطلب الثالث
الجزع الذاتي تجاه الموت

الانسان ميت لا محالة(١)وثمة من يستقبل الموت بصدر رحب كالابطال والمجاهدين والمؤمنين والزاهدين والاولياء، ولكن هناك من يجزع للموت إما بسبب حبه للدنيا وشهواتها ومباهجها، او خشية من حساب الآخرة، وقد انتقيت من كتب التراث العربي الاسلامي ست حكايات، تبين موقف المجزوع من الموت، وبعبارة اخرى حالة المحتضر المجزوع.

الحكاية الاولى :

- قيل لحبيب العجمي(٢) في مرض الموت:
- ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟ فقال:
- سفري بعيد بلا زاد، وينزل بي في حفرة من الارض، موحشة بلا مؤنس، وأقدم على مالك جبار، قد قدم اليَّ العذر(٣).

الحكاية الثانية :

قال ابو العباس المبرد: لما احتضر ابراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال:

- واي خطر اعظم من هذا، انما اتوقع رسولاً يرد عليّ من ربي، اما بالجنة واما بالنار(٤).

الحكاية الثالثة :

ولما احتضر ابن سيرين، جعل يقول:

- نفسي، والله، اعز الانفس عليَّ(٥).

الحكاية الرابعة :

ولما احضر حجر بن عدي ليقتل، وسأل ان يمهل حتى يصلي ركعتين، ظهر منه جزع شديد فقال له قاتله: اتجزع؟ فقال:

---

(١) قال سبحانه وتعالى:
- كل نفس ذائقة الموت: سورة الانبياء ٣٥ + سورة العنكبوت: ٥٧ .
- ثم انكم بعد ذلك لميتون: سورة المؤمنون: ١٥ .

(٢) هو: حبيب بن عيسى بن محمد العجمي، الفارسي اصلا، والبصري مسكناً، كان عابدا، زاهدا، مجاب الدعوة، لقى الحسن البصري وابن سيرين، وروى عنهما، مات سنة ١١٩ .

(٣) ابن الملقن (عمر بن علي بن احمد المصري: ٧٢٢-٨٠٤هـ) طبقات الاولياء، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، ص ١٨٥ .

(٤) المبرد، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٦١ .

(٥) المبرد: المرجع السابق، ص ٣٦١ وما بعدها.

– وكيف لا اجزع؟ سيف مشهور وكفن منشور، وقبر محفور، ولست ادرى أيأخذني الى جنة ام الى نار.

الحكاية الخامسة :

وفي وكيع بن ابي سود، قال الفرزدق

لقد رزئت يأساً وحزماً وسؤدداً   تميم بن مر يوم مات وكيع

الى ان قال :

فصبراً تميم انما الموت منهل   يصير اليه صابر وجزوع(١).

الحكاية السادسة :

وقال هدية بن حشرم العذري، وهو يقاد للقتل :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني   ولا جازع من صرفه المتقلب(٢)

المطلب الرابع

عوامل تنمية الجزع

هناك عوامل لو ظهرت انبتت الجزع معها لدى الفرد، ابرزها :

اولاً – ضعف الشخصية وخواء النفس

ان الفرد الذي لا يمتلك عقيدة دينية او سياسية رصينة او تجارب اجتماعية متنوعة، يجزع عند ادنى ضرر او اذى يصيبه، بينما غيره يتعرض الى مصيبة كبيرة او نائبة عظمى فلا يجزع لها لانه يمتلك من القوى النفسية والعقلية ما يعصمه عن الانحراف للجزع لاول وهلة.

ثانياً – الليل :

ان تعرض الانسان ليلاً لاعتداء بسيط يجعله يجزع لان عامل الظلام يخلق الرهبة في النفس، لذلك يشدد القانون المقارن، العقاب على الجرائم التي تقع ليلاً، لان المجرم يستغل ظرف الظلام للسرقة او للاعتداء على انسان آمن او مجرد من السلاح فتسهل الجريمة على المجرم ويظهر الجزع على المعتدى عليه.

ثالثاً – الخلاء :

ان وجود الانسان في الخلاء بعيداً عن البشر يرهبه اذا ما تعرض الى عدوان

(١،٢) المبرد : المرجع السابق، ص ٣٦١ وما بعدها.

(كالسلب او النهب) ولذلك فهو يستجيب الى طلب اللص ويجرد من امواله، وقد تستجيب المرأة، الى طلب المغتصب اذا ما هددها بالقتل ان لم توافق على مواقعتها وهي في مكان بعيد عن البشر او يتعذر عليها طلب النجدة والمساعدة، اذن فالخلاء عامل من عوامل ترويج الجزع، قال الشاعر :

اذا ضيقت أمراً ضاق جيـد	وان هونت ما قد عز هانـا
فلا تهلك لشيء فات يأسـا	فكم أمر تصعب ثم لانـا
سأصبر من رفيقي ان جفاني	على كل الأذى الا الهوانـا
فان المرء يجزع في خـلاء	وان حضر الجماعة لن يهانا

المطلب الخامس
قواعد تدلل على بطلان الجزع

ان مواصلة تحليل طبيعة الجزع، اي بيان محتواه النوعي، وكذلك تحليل واقعه، كظاهرة بشرية موجودة لدى الافراد والجماعات الانسانية، يفيدنا ذلك في التمكن من هذا السلوك النفسي والاجتماعي تمهيداً للنجاة منه من خلال عملية تدريبية نظرية وعملية على حد سواء، فلا يكفي القاء اللوم على المجزوع، وانما الصحيح يتمثل بقناعة الانسان ان الجزع سلوك غير مجد ولا نفع من ورائه البتة، وفيما يأتي عشر قواعد علمية ودينية يجدي الايمان بها في التدرب على تلافي الجزع وتحاشيه بالمرة ولعل الاقتناع الفكري بها يصون طاقة الانسان ونفسه وهيبته ولا يعرضه لتجارب فاشلة او خبرات سقيمة في هذا الشأن.

القاعدة الاولى : لا فائدة من جزع تجاه ما هو زائل

قال الشاعر :

اذا ما عرى خطب من الدهر فاصطبر	فان الليالي بالخطوب حـوامل
وكل الذي يأتي به الدهـــر زائل	سريعاً، فلا تجزع لما هو زائل

القاعدة الثانية : الجزع باطل لما لا يمكن دفعه، وخصوصاً قضاء الله

قال سابق السريري :

وان جاء ما لا تستطيعان دفعـه	فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا[1]

(١) المبرد : الكامل في اللغة والادب، ج ١، ص ٢٦٢ .

القاعدة الثالثة : لا جزع فيما فرج فيه

انشد يزيد بن المهلب، وكان في سجن الحجاج :

ربما تجزع النفوس في الاسـ ... ـر له فرجة كحل العقـــــــل

القاعدة الرابعة : الجزع كفر برحمة الله

اصاب ناساً مطر شديد ، وظلمة وريح ورعد وبرق، فقال رجل من النساك:

– «اللهم انك قد اريتنا قدرتك، فأرنا رحمتك»(١).

القاعدة الخامسة : المؤمن غير جزوع :

قال حسان بن ثابت(٢) يمدح عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ... وان اصيبوا فلا خور ولا جزع(٣)

القاعدة السادسة : الكريم غير جزوع

أنشد أحمد بن موسى الثقفي :

نبئت خولة أمس قـد جزعت ... من أن تنوب نوائب الدهـر

لا تجزعي ياخول واصطبري ... ان الكرام بنوا على الصبر

واذا كانت القاعدة العامة ان الخلق يمنع الكريم من الجزع فان ورود الاستثناء حاصل فعلا كما سأبين ذلك فيما بعد.

قال ابو العباس المبرد : واحسب ان حبيباً الطائي قال في ادريس بن بدر الشامي:

دموع اجابت داعي الحزن همـــع(٤) ... توصل منا عن قلوب تقطـــع(٥)

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً ... فأصبح يدعى حازماً حين يجزع(٦)

القاعدة السابعة : الشجاع غير جزوع

قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي :

وليلة من ليالي الدهـــر صالحـــة ... باشرت في هولهـــا أمري ومستمعا

ونكبة لو رمى الرامي بها حجـــراً ... اصم من جندل الصمان لانصدعـــا

مرت علي فلم اطرح لها سلـــبي ... ولا استكنت لها وهنا ولا جزعـــا

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٥٠ .

(٢) حسان بن ثابت بن عدى الخزرجي الانصاري: الشاعر المخضرم (الجاهلي الاسلامي)، ولد في يثرب نحو سنة ٦٠ قبل الهجرة ولما هاجر المسلمون من مكة الى المدينة دخل حسان الاسلام باكرا وانقطع الى الرسول صلى الله عليه وسلم يمدحه ويرد عنه هجاء المشركين. كان من فحول الشعراء في الجاهلية واتصل بالغساسنة والمناذرة فمدحهم وله فيهم قصائد كثيرة من عيون الشعر العربي توفى سنة ٥٤هـ .

(٣) ابن القيم، المرجع السابق، ص ١٠٥ .

(٤) همع : جمع هامع، همعت العين: اسالت الدمع.

(٥) تقطع: تتقطع (التفسير للهامشين من المبرد ذاته).

(٦) المبرد : الكامل، ج٢، ص ٣٢٣ .

قد عشت في الدهر اطواراً على طرق شتى فقايست منه الحلو والبشعـا
كلاً بلوت فلا النعمـاء تبطرني ولا تخشعت من لأوائهـا جزعـا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعـه ولا يضيق به صـدري اذا وقعـا(١)

المبحث الثالث
نتائج الجزع

ان الجزع يؤثر على السمعة الاجتماعية للمجزوع، فهو امتحان تختبر فيه ارادته البشرية وايمانه الديني، فان جزع المرء من بلوى او نكبة فقوة ارادته تكون في هذه الحالة موضع شك، وكذلك يمتد الشك الى حقيقة ايمانه الديني، لذلك يلتزم الشجعان او المؤمنون بتحاشي الجزع حرصاً على سمعتهم الاجتماعية والدينية.

المطلب الاول
نتائج تمس السمعة الاجتماعية

يحاول الانسان قوي الارادة والايمان ان يفخر بانه لا سبيل للجزع الى قلبه
قال الشاعر :

وما يستوي عند الملمات ان عرت صبور على مكروهها وجزوع

المطلب الثاني
نتائج تمس الايمان الديني

الجزع مذموم لانه سلوك ينم عن ذنب او موقف غير المؤمن، فالايمان يقتضي الصبر، وفيما يأتي بيان جوانب من حقيقة الجزع كرذيلة مستقبحة في الشرع الاسلامي:

١ - الجزع من مظاهر الكفر

قال اسماعيل بن غزوان :

الصابر هو الذي يشكر، والجازع هو الذي يكفر(٢)

٢ - الجزع من اخلاقيات الدنيا

قال الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه :

---

(١) المبرد، المرجع السابق، ج٣، ص ٢ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين. ج٣، ص ١٠٩ .

الصبر يناضل الحدثـــــان والجزع من اعـــــوان الزمان(١)

وقال ايضاً :

واذا كنت جازعاً على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك(٢).

٣ – الجزع مصيبة في الدين :

قال الزاهد منصور بن عمار(٣): من جزع من مصائب الدنيا، تحولت مصيبته في دينه(٤).

٤ – الجزع اثم :

مما ينسب الى الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه القول:

انك ان صبرت جرى عليك القلم، وانت مأجور، وان جزعت جرى عليك القلم، وانت موزور.

٥ – لم يمدح الله الجزع ولا اثنى عليه الشعراء

كتب ابن العميد: أقرأ في الصبر سوراً ولا أقرأ في الجزع آية، واحفظ في التماسك والتجلد قصائد ولا احفظ في التهافت قافية(٥).

٦ – بالجزع تتضاعف المصيبة

قال ابن السماك: «المصيبة واحدة فان جزع صاحبها منها صارت اثنتين» ويفسر المبرد: يعني فقدان المصاب وفوات المصاب(٦).

٧ – الجزع اساءة الظن بالله

يقول احدهم: (من مظاهر الجزع: الندب والنوح والمأتم، وما تعبر عنه هذه الامور من اساءة الظن بالله وزعزعة للثقة بقضائه وقدرته)(٧).

ويؤكد الامام الشافعي (رحمه الله)(٨) على الفرج بعد الضيق ويقول:

ولرب نازلة يضيق بهـــا الفتى ذرعاً وعند الله منها المخـرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتهـا فرجت وكنت اظنها لا تفــرج

ويترجم حالة الصبر وتجنب الجزع والتخلق بالجلد عند المصائب، قائلا:

دع الايام تفعل ما تشـــاء وطب نفساً اذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليـــالى فما لحوادث الدنيـــا بقاء

---

(١) المبرد: الكامل في اللغة والادب، ج٤، ص ٣٢٠ والجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٩

(٢) المبرد : الكامل، ج ٣، ص ٣٢٤ .

(٣) وكنيته ابو السري، وهو من اهل مرو، اقام بالبصرة، وكان احسن الناس كلاما في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ واسند الحديث النبوي انظر هامش المرجع التالي:

(٤) ابو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٣٤ .

(٥) المبرد: الكامل في اللغة والادب، ج ٤، ص ٣٢٣ .

(٦) المبرد: الكامل في اللغة والادب، ج ٤، ص ٣٢٠ .

(٧) د. عبد الله بن المحسن التركي، مقدمة لكتاب د. صالح بن ناصر الخزيم: الصبر، بيروت – دار ابن حزم ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٨) صاحب مذهب الشافعية، وقد توفى سنة ٢٠٤هـ.

وكن رجلاً على الاهوال جلداً وشيمتك السماحة والوفـــاء(١،٢)

القاعدة الثامنة : الجزع يورث السقم

قال الفضيل بن عياض : «ياابن ادم انما يفضلك الغنى بيومك، امس قد خلا، وغد لم يأت، فإن صبرت يومك، احمدت امرك وقويت على غدك، وان عجزت يومك اذممت امرك وضعفت عن غدك، وان الصبر يورث البرء، وان الجزع يورث السقم، وبالسقم يكون الموت وبالبرء تكون الحياة»(٣).

القاعدة التاسعة : الجزع يذهب بأمن القلب

قال الحسن البصري (رضي الله عنه) من خطبة طويلة له، جاء فيها: «يا ابن آدم طأ الارض بقدمك فانها عما قليل قبرك، واعلم انك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك، فرحم الله رجلاً نظر فتفكر وتفكر فاعتبر واعتبر فابصر وابصر فصبر، فقد ابصر اقوا فلم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ماطلبوا ولم يرجعوا الى ما فارقوا»(٤).

القاعدة العاشرة : الموت لا مفر منه، فلم الخوف منه؟

ومن افضل ما يعالج المرء به ذاته تجاه الجزع بشأن الموت الذاتي، حكمة قالها ابيقورس(٣٤١-٢٧٠ق.م) حل فيها مشكلة الجزع من الموت بمحاكمة عقلية تقول: «اننا لا نخاف الزمن الذي يسبق وجودنا، فلم نخاف الزمن الذي يلي الوفاة؟ ان الموت لا يوجد مادمنا احياء، ونحن لا نوجد حين يوجد الموت، وعلى المرء اذن ان يتعود ان فكرة الموت ليست شيئاً بالنسبة له».

كما يمكن تعزيز قناعتنا بانعدام المبرر العقلاني للفزع من الموت بما ذكره ابو العباس المبرد في الكامل بانه كتب على صخرة في مقبرة:

وما نحن الا مثلهم غير اننـــا اقمنا قليـــلاً بعدهم وتقدموا(٥)

واختتم بعون الله تعالى هذا الكتاب بحكايتين جليلتين :

حكاية اولى :

قال حبيب بن عدي، حين بلغه ان القوم الكافرين اجتمعوا لصلبه :

لقد جمع الاحزاب حولي وألّبـوا قبائلهـــــم واستجمعوا كل مجمع

---

(١) في مكان اخر :السماحة والسخاء .

(٢) ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني: ص ٣١٥ .

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٣٩ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٣٣ .

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٦٢ .

الى الله اشكو غربتي ثم كربتـــي　　　وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي

وقد خيروني الكفر والموت دونه　　　وقد هملت عيناي من غير مجـــــزع

ولست ابالي حين أقتل مســلماً　　　على اي جنب كان في الله مصرعـــي

فلست بمبدٍ للعـــــدو تخشعاً　　　ولا جزعاً، اني الى الله مرجعـــــي

حكاية ثانية :

لما حبس هارون الرشيد، الشاعر أبا العتاهية، وجد هذا شخصاً مقيداً في الحبس، تمثل:

تعودت مر الصبر حتى الفــــته　　　واسلمني حسن العزاء الى الصبر

وصيرني يأسي من الناس راجياً　　　لحسن صنيع الله من حيث لا ادري(١).

وكان هذا من الخارجين على سلطة بنى العباس، وكان من الصابرين الذي لم ينل الحبس منهم شيئاً ، بل زادهم قوة وصلابة، فكان مصيره القتل.

---

(١) ابو الفرج الاصبهاني (علي بن الحسين – ولد باصبهان ٢٨٤هـ) الاغاني، المجلد ٤، ط٨ بيروت: دار الثقافة ١٤١٠هـ-١٩٩٠، ص ٢١١ .



خاتمة عامة

بعد هذه الجولة الشاقة في ميدان هذا الموضوع العلمي يحلو لي أن أدلي بدلوي في خاتمة المطاف، فابين أهم الاستنتاجات التي توصلت اليها، كما أوضح ابرز الاقتراحات التي أرى ضرورة اعمالها في هذا الشأن.

اولا - الاستنتاجات :

١ - الصبر : هو حبس النفس عن الجزع، ومظاهر ذلك :

منع اللسان عن التشكي والجوارح عن الانين والاستكانة واعضاء البدن وخصوصاً الايدي عن لطم الخدود وشق الثياب، فالصبر: حبس النفس عن كريه تتحمله او لذيذ تفارقه وهو ممدوح ومطلوب.

٢ - مشتقات كلمة الصبر هي :

أ - صابر: اسم فاعل وهو الذي يمارس عملية الصبر بروية وأناة.

ب - صبور : وهو من اسماء الله الحسنى ويجوز ان يسمى المسلم عبد الصبور.

ج - صبار : هو الذي يلزم نفسه بالصبر.

د - الاصطبار: هو ابلغ من الصبر، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطباراً.

هـ - المصابرة : هو مقاومة الخصم في ميدان الصبر.

و - التصبر : هو التكلف بالصبر، فهو ارغام النفس على الصبر.

٣ - هناك علائم للصبر كالرضا بالبلاء او البلوى، والعزوف عن الشكوى، والدليل على قوة التحمل النفسي، والاستعانة بالله في كل الامور.

٤ - ثمة صبر واحد، وثمة «اصبار» بالمعنى الضيق للكلمة، ولكن المعنى الواسع يجعل من الصبر ممتداً الى فضائل اخلاقية واسعة كالوقار والحلم، والعفة، فهذه كلها يمتد الصبر في نسيجها البنيوي.

٥ - الصبر خاص بالانسان دون الملائكة والبهائم، ولكن ليس كل انسان يتسم بهذه الخاصية، اذ أن ما يجعله يتصف بها: الايمان الديني الذي يلزمه ذلك على أساس أن الصبر نصف الايمان ولكن تحليل الصبر كخاصية سلوكية لا تجعلنا ننسى أنه خاصية تتسم بالشدّة، فالصبر صعب وليس سهلاً، وهناك من لم يطقه أو يلتزم به في بعض الاحيان وذلك لمشقته.

٦ – ثمة صبر للصالحين وآخر للغافلين: فصبر الصالح صبر المؤمن التقي، بينما صبر الغافل يتم دون مقصد، وهناك صبر الكريم وصبر اللئيم: فالكريم يصبر بتأثير خلقه الكريم، أما اللئيم فيصبر عناداً وكي يظهر كفرد ثابت السريرة، فهو يتخذ من الصبر مظهراً لتقوية شخصيته وتعزيز موقفه ويخفي سوآته ويظهر بمظهر الابطال.

٧ – والصبر إما أن يكون فرضاً، او نفلاً، او مكروهاً، او محرماً، فما وافق الشرع الاسلامي فهو فرض او نفل، اما مالا يوافقه فهو مكروه او محّرم.

٨ – وهناك ثمار دينية للصبر، منها المزايا العديدة والمتنوعة التي ذكرها القرآن الكريم، وبينتها السنة النبوية الشريفة، وكررتها اقوال السلف الصالح من الزهاد والمتقين والصابرين، فالصبر عّدة المؤمن، وهو من الايمان بمنزلة الرأس من البدن، ومصير الصابر الجنة. أما الثمار الشخصية فالصبر مؤدب ومربٍّ، وآلية للتفكير والتروي، وهو نجاة ووسيلة فعالة لمواجهة أذى الآخرين من الاشرار والسفلة.

٩ – يمكن التدرب على الصبر عن طريق الايحاء الذاتي، اي ان يدرب المرء نفسه على الصبر تدريباً ذاتياً وذلك بتذكيرها بمنافع الصبر وأضرار الجزع مما يكسب المرء مكانة اجتماعية طيبة وحظوة في قلوب المؤمنين خصوصاً، والناس على وجه العموم..

١٠ – أما الجزع فهو احباط نفسي تجاه كارثة او نازلة، وفقدان القدرة على استيعابها وتجاوزها كقضاء وقدر، أو كامر رباني، او حادث جلل لا مكنة للانسان على تقديمه او تأخيره او الغائه، فالجزع طرح الصبر بما نزل بالمجزوع.

١١ – الروع مثل الجزع، أما الهلع فهو الخوف الشديد، والفزع هو الذعر، اما الحزن فهو الم وترح.

١٢ – علائم الجزع هي الشكوى الى المخلوق، بينما نحن نعلم أن الشكوى لغير الله مذلة، ويتضمن الجزع: الانين والايذاء الذاتي، والقول السيء والظن السيء، والاستكانة، واظهار المصيبة والتحدث بها.

١٣ – واظهر مظاهر الجزع يكون عند فقدان الابن من قبل امه وبالعكس، او الزوجة من قبل زوجها، والزوج من قبل زوجته، والجزع الذاتي تجاه الموت.

١٤ – هناك عوامل تنشط الجزع لدى الانسان كضعف الشخصية وخواء النفس، والليل والخلاء.

١٥ – هناك قواعد تدلل على بطلان رذيلة الجزع كقاعدة، فلا فائدة من جزع تجاه ما هو زائل، ولامن جزع فيما لا يمكن دفعه، وخصوصاً قضاء الله، ولا لجزع فيما فرج

فيه، والجزع كفر برحمة الله، وكل من المؤمن والكريم والشجاع ليس بجزوع، وأن الجزع يورث السقم ويذهب بأمن القلب وطمأنينته والموت لا مفر منه فلم الخوف منه؟.

ثانيا - الاقتراحات :

١ - من الضرورة فصل الصبر عن كل من الاستكانة، والاستسلام، والخنوع والخضوع، والاستسلام الاعمى غير الارادي ذلك ان المواقف الثانية لا تحوي فضائل وليست ذات شأن فلسفي بينما الصبر موقف ديني وفلسفي وانساني وعقلاني حاصل بنتيجة تفكير وترو واعتقاد بجدواه وايمان بثماره.

٢ - من الضرورة ان يجعل الانسان الحصيف من الصبر: سجية مرغوبة، وخصلة ذاتية حميدة ومحمودة، فيتبناها تأسيساً بأنها فضيلة كبرى تضم تحت لوائها معظم الفضائل الاخلاقية الكبرى، وقد قال امام الحلم في التراث العربي الاسلامي الاحنف ابن قيس (لست حليماً، انما انا صبور، فأفادني الصبر صفتي بالحلم).

٣ - من الضرورة الايمان بان الصبر سلوك ملتزم، عكس ما ذهب اليه الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه بأن الصبر ضمن اخلاقيات العبيد ونقيض نزعة الانسان الاسمى (السوبرمان) التي تنم عن تفوق اخلاقيات السادة. فهذا المنطق عنصري (فاشستي) ويدل على ازدراء الاخلاقيات الانسانية الرفيعة اللصيقة بالطبيعة البشرية الخيرة.

فالصبر ينم عن نزعة خير بينما لا خير في الجزع.

٤ - من الضرورة الا يؤمن الانسان بان الصبر إستسلام اعمى لواقع مفجع او كارثة فردية او اجتماعية لا يمكن تداركها ولابد من الانصياع المطلق لها، وانما يؤمن بان الصبر يتيح المجال للتفكير ملياً من اجل الانتقال الى موقف آخر مغاير: فالحركة الآنية إنْ هي الا انفعال وجداني يضر ولا ينفع، او ان الجزع: ارتجال غير محسوب العواقب، وما الصبر الا انتظار الخطوة الثانية، فلولا الصبر لكانت الخطوة الاولى ضرباً من العبث، والصبر يهيىء لنا التفكير الهادىء الموضوعي الرصين للعمل القادم: فثمة نكبة او نكسة او ازمة او بلوى او حادث جلل قد يكون رد الفعل ازاءه مؤذياً او مضراً، اذ ان الحادث المفجع اكبر من طاقات فرد وربما امة او شعب، والظروف الموضوعية او الشخصية لا تسمح بالتحرك في اتجاه مغاير او عكس المنطق العلمي فالعمل او الجزع ازاءه يكون غير مجد، ومن ثم يصبح الصبر والحالة هذه - الموقف الموضوعي العقلاني السليم.

٥ – من الضرورة حينما يقيم المسلم الصلاة او يؤدي الصوم، او يتحمل اذى الآخرين، ان يتذكر الصبر كفضيلة لازمة وذات مردود ايجابي، فلا يكفي المرء ان يؤمن بالصبر وانما يدرك من خلال معاملاته وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين ان الصبر ضروري لتحمل اعباء الحياة واذى الاشرار.

٦ – نحن نؤدي سلوكاً طيباً تجاه الآخرين الا ان الاستجابة تكون معدومة او ضعيفة احياناً وتستبد بنا الحيرة، هل عملنا عملاً طائشاً او عبثياً بحيث نتلقى هكذا نتيجة غير متوقعة؟ وقد يلجأ بعضهم الى العزوف عن عمل المعروف او الاحسان بأعتبار ان الآخرين ليسوا اهلاً له، واننا نبذل قدراتنا ونضيع اوقاتنا من اجل لاشيء، والحقيقة ان مثل هذا الاستنتاج ينطوي على قدر من التسرع في الحكم، فالآخرون يتلقون عشرات وربما مئات المواقف والاحكام والقرارات من غيرهم ولذلك فإن من غير المعقول ان يعيدوا النظر فوراً في استجابات سلوكهم بعد ان كانوا قد نمطوا هذا السلوك على طراز يلائم نفوسهم او اهدافهم المشروعة، ومن هنا فان التكرار في الفعل او التصرف سيولد مستقبلاً رد الفعل المتوقع وكل ذلك رهن بالصبر فبدون ذلك (اي الصبر) فان تعديل سلوك الآخرين ازاءنا بين ليلة وضحاها امر في غاية الاستحالة، اما ما هو ممكن ومعقول فهو اتاحة الفرصة للآخرين لتعديل سلوكهم جراء افعال متماثلة ذات مضمون انساني، وقد يستجيب بعضهم لذلك نتيجة التكرار، اما من لا يستجيب فقد يصبح سلوكه ازاءنا اقل عنفاً او عدوانية والفضل في ذلك لصبرنا ازاءهم.

٧ – من الضرورة الصبر على مكاره سلوك البشر، فبعض الناس اشرار منذ نعومة اظفارهم وبعضهم الآخر معقد نفسياً وليس من الصواب محاسبة مثل هؤلاء الآخرين كما لو كانوا اسوياء، فليس امام المرء سوى الصبر على هذه النفوس البشرية الشريرة او المعقدة نفسياً، وليس ثمة علاج آخر، اذ ان الانشغال بهذه الانماط البشرية ينطوي على ارهاق لنفوسنا، اما الصبر فترك الامر الى ظروف تؤدب هؤلاء او تردعهم ردعاً حتمياً.

٨ – من الضرورة ان يؤمن الانسان بان الصبر يجدي تجاه الاشرار من الناس، فثمة حقائق يكون الصبر ازاءها نافعاً وملائماً، وثمة اربع حقائق في هذا الشأن.

الأولى: أن بعض الناس اشرار وينتج عن ذلك:

أ – توقع الشر من الغير في كل لحظة.

ب – العجب من اي خير يعمله الغير والنظر اليه بعين فاحصة لمعرفة دوافعه

وبواعثه ومراميه المباشرة وغير المباشرة.

اما الحقيقة الثانية، فهي ان الاحسان للغير لا يستتبع ان يبادلونا السلوك ذاته، ونتائج ذلك:

أ – مبادلة خيرنا بشر من قبل الغير ليس بالامر الغريب.

ب – اننا يجب ان نتقبل ذلك بصدر رحب ينم عن اقرار بشّرية الآخرين.

ج – اننا لسنا مجبرين على الاحسان للاشرار طالما لم يستوعبوا خيرنا وواصلوا شرهم على نحو تلقائي.

اما الحقيقة الثالثة: فتتمثل بضرورة العزلة وتقنين الاحتكاك الاجتماعي. ونتيجة ذلك الاعتقاد ان الاختلاط ينطوي على كثير من الاذى فيجب الصبر على ذلك.

اما الحقيقة الرابعة فهي ان الفرد لا يخلو من الشر، فلا غرابة ان نجد الشر موجوداً لدى الافراد الآخرين ومن الرذيلة استهجان شر هؤلاء وكأن مواطنينا يخلون من الشر، اذ ان انانية الفرد او تفضيل مصلحته على الصالح العام نوع من المسلك الشرير، فالخيْر يكون في حب الخير لي ولغيري على حد سواء، اما ان احب الخير لنفسي وامنعه عن غيري او لا اتمناه له فهذا نمط من الاخلاق الشريرة، والسائد الآن غلبة نزعة الخيرية الذاتية والاذى الجماعي، فاصبح الخير قليلاً وتفشى الضرر والاذى والمساس بحقوق الآخرين وحرياتهم، تحت اشكال الحسد، والغيبة، والنميمة، والأثرة، والطمع، وتآكل المروءة.

٩ – ما يُعين على الصبر : ايمان المؤمن بالحقائق الآتية:

أ – معرفة الدنيا : فالدنيا ليست كلها مسرات او نجاحات او غنائم وانما تحوي الاحزان والاخفاق والخسائر والمصائب. قال الله تعالى: «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس» (آل عمران: ١٤٠).

ب – معرفة الانسان بحقيقته: فالانسان ملك لله فهو الذي يرزقه ويهديه، قال تعالى: «وما بكم من نعمة فمن الله» (النحل: ٥٣).

فاذا اصابت الانسان فاجعة او مصيبة فان اعظم دواء قوله «إنّا لله وانا اليه راجعون» (البقرة: ١٥٦).

جـ – الجزاء الاوفى من الله: قال سبحانه وتعالى: «نعم اجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» (العنكبوت الآية ٥٨–٥٩)، وقال عز من قائل: «انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب» (سورة الزمر الآية ١٠).

د – الفرج آت لا محالة: «فإن مع العسر يسراً» كما يقول الله تعالى، وقد قال النبي يعقوب لبنيه: «يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون» (يوسف الآية ٨٧).

هـ – الاستعانة بالله : مما يعين على الصبر استعانة المبتلى بالله عز وجل، قال عز من قائل: «واصبروا ان الله مع الصابرين» (سورة الانفال الآية ٤٦).

وقال موسى لقومه: «استعينو بالله واصبروا» (الاعراف الآية ١٢٧).

و – الاقتداء بأهل الصبر والعزيمة: يجب تأمل الصابرين واهل العزائم وما لاقوه من بلاء وشِدّة فالرسول عليه الصلاة والسلام دعا الى الله والى توحيده فهدده قومه بالنفي من مكة ولكنه استمر في دعوته الالهية فصبر ثم ظفر!!، وقد مرت آيات قرآنية في هذا الشأن.

ز – الايمان بقدر الله وقضائه: كل مصيبة هي قدر من اقدار الله، والايمان بالقدر جزء من ايمان المسلم، قال تعالى: «ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها، إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»(الحديد الآية ٢٢-٢٣).

ويستطرد الدكتور يوسف القرضاوي في بيان ما يعين على الصبر، كما يلي :

ح – الحذر من الآفات العائقة عن الصبر: وهذه الآفات هي:

* الاستعجال : فقد قال تعالى «خلق الانسان من عجل» (سورة الانبياء الآية ٣٧) فالنفس مولعة بحب العاجل.

فيجب على المؤمن الا يستعجل انفراج النكبة وانما يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والسلف الصالح.

* الغضب : فقد يغضب الفرد اذا اصابته مصيبة وهو غضب مذموم لانه ضد ارادة الله، فالغضب المحمود هو الذي يكون لله او للحق، والغضب المذموم يعني انعدام الحلم والصبر.

* شدة الحزن والضيق: فالحزن والضيق يتنافيان مع الصبر، قال تعالى لرسوله الكريم «واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون» (النحل الآية ١٢٧).

فهذه هي الادوية التي تعين على الصبر وتبعد الانسان عن الجزع، والله المستعان.



المراجع والمصادر

اعتمدت في تنفيذ هذه الدراسة العلمية على عدة مراجع ومصادر اساسية، اكتفي بإيراد المراجع والمصادر الثانوية في هوامش صفحات هذا الكتاب، وفيما يلي المراجع والمصادر الاساسية.

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن ابي الحديد (عز الدين بن هبة الله بن محمد المدائني ٥٨٦-٦٥٥هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت: دار الجيل - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣ - ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي - توفي ٥٩٧هـ): مختصر منهاج القاصدين - القاهرة - دار الاسراء ١٤١٢هـ - ١٩٩١م (اختصره احمد بن محمد بن قدامة).

٤ - ابن الجوزي : الاذكياء، النجف (العراق) ١٩٦٩ : المطبعة الحيدرية.

٥ - ابن الجوزى : الحسن البصري، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦ - ابن قيم الجوزية (محمد بن ابي ايوب الزرعي الدمشقي، توفي ٧٥١هـ) عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق : ابو سهل - نجاح عوض صيام، مكتبة الايمان بالمنصورة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧ - ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين - القاهرة: مكتبة الايمان (د.ت).

٨ - ابن المقفع (عبد الله بن المقفع : ١٠٦-١٤٢هـ/ ٧٢٤-٧٥٩م) الأدب الصغير والأدب الكبير - تحقيق : د. انعام فوال، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤١٤هـ بيروت (د.ت).

٩ - ابن الملقن (عمر بن علي بن احمد المصري ٧٢٣ - ٨٠٤هـ) طبقات الاولياء، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة مكتبة الخانجي ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٠ - ابن منظور (محمد مكرم بن منظور الافريقي المصري) لسان العرب، بيروت: دار صادر ١٩٥٥م.

١١ - الآبي الازهري: الثمر الداني - شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني - بيروت دار الفكر (د.ت).

١٢ - ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد، توفي بعد سنة ١٠١٠م) الامتاع والمؤانسة، تصحيح احمد امين واحمد الزين، بيروت مكتبة الحياة (د.ت).

١٣ - ابو عبد الرحمن السلمي (عاش ٣٣٠-٤١٢هـ) طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط ٣ القاهرة مكتبة الخانجي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤ - ابو الفرج الاصبهاني (علي بن الحسين بن محمد بن احمد، توفي ٣٥٦هـ - ٩٧٦م) كتاب الاغاني - القاهرة دار الكتب (د.ت).
١٥ - الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد، عاش ٣٥٠-٤٢٩هـ) خاص الخاص، بيروت دار مكتبة الحياة (د.ت).
١٦ - الثعالبي : تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق: شاكر العاشور، بغداد: وزارة الاوقاف ١٤٠١هـ - ١٩٨٦م.
١٧ - الثعالبي : التمثيل والمحاضرة، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، القاهرة مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٩٦١ .
١٨ - الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر، عاش ١٥٠-٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.
١٩ - الجرجاني (علي بن محمد بن علي، عاش ٧٤٠-٨١٦هـ/ ١٣٤٠-١٤١٣م) كتاب التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.
٢٠ - الخليل النحوي (إعداد) المعجم الميسّر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس: لاروس ١٩٩١م.
٢١ - الرازي (محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي) مختار الصحاح، ط٩، القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٩٦٣م.
٢٢ - الراغب الاصفهاني (ابو القاسم الحسين بن محمد - توفي ٥٠٢هـ/ ١١١١م) مفردات الراغب، القاهرة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (د.ت).
٢٣ - عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي: روض الرياحين في حكايات الصالحين - نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر، تقديم: د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، بغداد دار الانبار ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٤ - د. عبد الحميد الصيد الزنتاني: التربية الاسلامية في السّنة النبوية، ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب ١٩٩٣م.
٢٥ - الغزالي (ابو حامد محمد بن محمد - توفي ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين، بيروت دار المعرفة (د.ت).

٢٦ - القشيري (ابو القاسم القشيري) الرسالة القشيرية تحقيق: معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي، بيروت - دمشق: دار الخير ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ونسخة اخرى: تحقيق: شيخ الاسلام زكريا الانصاري، صادرة من دار التربية، بغداد (د.ت).

٢٧ - المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد، توفي ٢٨٥هـ) الكامل في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة المعارف (د.ت).

٢٨ - مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ط٢، القاهرة: مطابع دار المعارف - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٩ - النووي (يحيى بن شرف النووي الدمشقي، عاش: ٦٣٧-٦٧٦هـ) رياض الصالحين، تحقيق : حسان عبد المنان، عمان: المكتبة الاسلامية - مكتبة برهومة، ١٤١٣هـ.

كتب الدكتور عبد القادر عبد الحافظ الشيخلي

ادناه المؤلفات المنشورة :

اولا : الدراسات القانونية :

١ – الجزاء التأديبي للموظف العام/عمان/دار الفكر ١٩٨٣ .

٢ – السياسة السليمة لتأديب العاملين بالدولة/عمان/دار الفكر ١٩٨٣ .

٣ – القانون التأديبي وعلاقته بالقانونين الاداري والجنائي، عمان/دار الفرقان ١٩٨٤ .

٤ – القانون الاداري/عمان/دار بغدادي ١٩٩٥ .

ثانيا : الدراسات الادارية :

٥ – لجان المجلس البلدي/عمان/المنظمة العربية للتنمية الادارية ١٩٨٢ .

٦ – معوقات تطوير نظم واجهزة الخدمة المدنية في الاقطار العربية/عمان/دار الفكر ١٩٨٣ .

٧ – رئيس المجلس البلدي/عمان/دار الفكر ١٩٨٤ .

٨ – العلاقات العامة (بالاشتراك مع الاستاذ/فؤاد الناضوري) دمشق/كلية البريد العربية (جامعة الدول العربية) ١٩٨٤ .

٩ – الادارة المحلية والتجربة الاردنية/بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤ .

١٠ – ادارة العواصم العربية/بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤ .

١١ – القيادة الشبابية بين النظرية والتطبيق/عمان/وزارة الشباب ١٩٩٥ .

١٢ – كيف تصبح ادارياً ناجحاً/عمان/دار اسامة ١٩٩٩ .

ثالثا : الدراسات المنهجية :

١٣ – إعداد البحث القانوني/عمان/دار مجدلاوي ١٩٨٢ .

١٤ – فن الصياغة القانونية/عمان/دار الثقافة ١٩٩٥ .

١٥ – المنهجية العلمية في التثقيف الذاتي/بغداد وزارة الاعلام (الموسوعة الصغيرة) ١٩٨٥ .

١٦ – تنشيط سرعة البديهة/عمان/دار الشروق ١٩٩٣ .

١٧ – قواعد البحث القانوني/عمان/ دار الثقافة ١٩٩٩ .

رابعا : الدراسات التربوية :

١٨ - الارشاد التربوي في الجامعة بالنظامين الاردني والعراقي/بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٩٨٤ .

١٩ - مرشد الطالب الجامعي في تنظيم الواجبات العلمية والسلوكية/عمان/مكتبة المحتسب ١٩٨٤ .

٢٠ - تطوير المستوى العلمي للطالب الجامعي/عمان/دار الفكر ١٩٨٤ .

خامسا : الدراسات الاخلاقية :

٢١ - اخلاقيات سائق المركبة/بغداد/مديرية المرور العامة ١٩٩٢ .

٢٢ - اخلاقيات الحوار/عمان/دار الشروق ١٩٩٣ .

٢٣ - فضيلة الحياء ورذيلة سوء الخلق/عمان/دار البشير ١٩٩٣ .

٢٤ - فضيلة الحلم ورذيلة الغضب/عمان/دار البشير ١٩٩٣ .

٢٥ - فضيلة الصمت ورذيلة كثرة الكلام/عمان/دار البشير ١٩٩٤ .

٢٦ - فضيلة الصبر ورذيلة الجزع/عمان/وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٢٧ - اخلاقيات الوظيفة العامة/عمان/دار مجدلاوي ١٩٩٩ .

٢٨ - العتاب في الشريعة والحكمة والاخلاق. عمان، مكتبة الرسالة ٢٠٠٠م.

٢٩ - فضيلة التأني ورذيلة العجلة. دار الراوي للطبع والنشر/الدمام - المملكة العربية السعودية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

